هذا كتاب الظرايف واللطايف
في المحاسن والاضداد للعالم العلامة الحبر البحر
الفهامة الشيخ ابو نصر احمد بن عبد الرزاق
المقدسي رحمه الله تعالى
ونفعنا بعلومه
م

يا من يروم معارفا	لتصير في ذا الدهر عارف
انظر الى السفر الذي	يحوي الظرايف واللطايف
فيه المحاسن جمعت	وبها تزينت الصحايف

BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE
EGYPTIAN LIB

فهرست كتاب الظرائف واللطائف

صحيفة		صحيفة		صحيفة		صحيفة	
٤	مدح الدنيا	٦	ذم الدنيا	٩	مدح الدهر	١٠	ذم الدهر
١٤	مدح السلطان	١٧	ذم السلطان	١٨	مدح عمل السلطان	١٦	ذم عمل السلطان
٢١	مدح الوزارة	٢٣	ذم الوزارة	٢٥	مدح العقل	٢٧	ذم العقل
٢٨	مدح العلوم	٣٢	ذم العلوم	٣٤	مدح الخط والقلم	٣٦	ذم الخط والقلم
٣٨	مدح الادب	٣٩	ذم الادب	٤٠	مدح الشعر والشعراء	٤٤	ذم الشعر والشعراء
٤٥	مدح الكتب والدفاتر	٤٧	ذم الكتب والدفاتر	٤٨	مدح التجارة	٥٠	ذم التجارة
٥١	مدح الضياع	٥٤	ذم الضياع	٥٥	مدح الدور والابنية	٥٧	ذم الدور والابنية
٥٨	مدح الحمام	٦٠	ذم الحمام	٦١	مدح المال	٦٢	ذم المال
٦٣	مدح الغنى	٦٣	ذم الغنى	٦٤	مدح الفقر	٦٥	ذم الفقر
٦٦	مدح القناعة	٦٧	ذم القناعة	٦٨	مدح القلة	٦٩	ذم القلة
٧٠	مدح اللسان	٧١	ذم اللسان	٧٣	مدح الصمت	٧٥	ذم الصمت
٧٥	مدح الصبر	٧٨	ذم الصبر	٧٩	مدح الحلم	٧٩	ذم الحلم
٨١	مدح المشورة	٨٣	ذم المشورة	٨٤	مدح التأني	٨٤	ذم التأني
٨٥	مدح الوحدة والعزلة	٨٧	ذم الوحدة والعزلة	٨٧	مدح الشجاعة	٨٩	ذم الشجاعة
٩٠	مدح الجود	٩٣	ذم الجود	٩٣	مدح البخل	٩٤	ذم البخل
٩٥	مدح الحقد	٩٦	ذم الحقد	٩٧	مدح الحياء	٩٨	ذم الحياء
٩٩	مدح الاخوان والاصحاب	١٠١	ذم الاخوان والاصحاب	١٠٤	مدح المزاح	١٠٥	ذم المزاح
١٠٦	مدح العتاب	١٠٣	ذم العتاب	١٠٨	مدح الحجاب	١٠٨	ذم الحجاب
١١٠	مدح الزيارة	١١٠	ذم الزيارة	١١١	مدح النساء	١١٣	ذم النساء
١١٥	مدح التزوج	١١٦	ذم التزوج	١١٦	مدح الجواري	١١٨	ذم الجواري
١١٩	مدح العيال	١١٩	ذم العيال	١٢٠	مدح الولد	١٢١	ذم الولد

تتمة فهرست كتاب الظرائف واللطائف

صحيفه	صحيفه	صحيفه	صحيفه
١٢٣ مدح البنات	١٢٤ ذم البنات	١٢٥ مدح الغلمان	١٢٧ ذم الغلمان
١٢٨ مدح الخط والعذار	١٢٩ ذم الخط والعذار	١٣٠ مدح المماليك	١٣٣ ذم المماليك
١٣٥ مدح الخصيان	١٣٦ ذم الخصيان	١٣٦ مدح النبيذ	١٤٠ ذم النبيذ
١٤١ مدح الصبوح	١٤٢ ذم الصبوح	١٤٥ مدح السماع	١٤٦ ذم السماع
١٤٧ مدح الزجاج	١٤٨ ذم الزجاج	١٤٩ مدح الذهب	١٥٢ ذم الذهب
١٥٣ مدح الشطرنج	١٥٤ ذم الشطرنج	١٥٤ مدح النرجس	١٥٦ ذم النرجس
١٥٧ مدح الورد	١٥٨ ذم الورد	١٥٩ مدح الشتاء	١٦٠ ذم الشتاء
١٦١ مدح الصيف	١٦١ ذم الصيف	١٦٣ مدح المطر	١٦٣ ذم المطر
١٦٤ مدح القمر	١٦٥ ذم القمر	١٦٥ مدح السفر	١٦٧ ذم السفر
١٦٨ مدح الغربة	١٦٩ ذم الغربة	١٧١ مدح الفراق	١٧٢ ذم الفراق
١٧٣ مدح البكاء	١٧٥ ذم البكاء	١٧٦ مدح الرؤيا	١٧٦ ذم الرؤيا
١٧٧ مدح الهدية	١٧٩ ذم الهدية	١٧٩ مدح الدين	١٨٠ ذم الدين
١٨١ مدح الشباب	١٨٤ ذم الشباب	١٨٤ مدح الشيب	١٨٦ ذم الشيب
١٨٨ مدح الخضاب	١٨٩ ذم الخضاب	١٩٠ مدح المرض	١٩١ ذم المرض
١٩٣ مدح الموت	١٩٤ ذم الموت	١٩٥ مدح السواد	١٩٧ ذم السواد
١٩٧ مدح الغوغاء والسفهاء	١٩٨ ذم الغوغاء والسفهاء	١٩٩ مدح العمى	٢٠١ ذم العمى
٢٠١ مدح السجن	٢٠٣ ذم السجن	٢٠٣ مدح التعليم	٢٠٤ ذم التعليم
٢٠٥ مدح الرقيب	٢٠٥ ذم الرقيب	٢٠٦ مدح لا	٢٠٧ ذم لا
٢٠٧ مدح اليمين	٢٠٨ ذم اليمين	٢٠٨ مدح شهر رمضان	٢٠٩ ذم شهر رمضان
	١١١ مدح الوعد	٢١٣ ذم الوعد	

تمت فهرست الكتاب وهي مائة واثنان وستون بابا

هذا كتاب الظرايف واللطايف

في المحاسن والاضداد للعالم العلامه الحبر البحر

الفهامه الشيخ ابو نصر احمد بن عبد الرزاق

المقدسي رحمه الله تعالى

ونفعنا بعلومه

م

يا من تروم معارفا	لتصير في ذا الدهر عارف
انظر الى السفر الذي	يحوي الظرايف واللطايف
فيه المحاسن جمعت	وبها تزينت الصحايف

BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE
دار الكتب المصرية
EGYPTIAN LIBRARY

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابو نصر احمد بن عبد الرزاق المقدسي اسعده الله بمرضاته الحمد لله خير ما طلب به استفتاح الكلام واستنجاح المرام وصلى الله على سيد الانام محمد وآله واصحابه الطيبين الكرام وبعد هذا الكتاب كان في نسختين متناسبتي الجمع متناسختي الوضع سمى الشيخ ابو منصور الثعالبي رحمه الله احدهما كتاب الظرائف واللطائف والآخر كتاب اليواقيت في بعض المواقيت وافرد لكل منهما صدرا اورد فيه لمن عمله باسمه ذكرا فجمعت بينهما في قرن وعطفت عنانيهما الى سنن اختصارا للطريق الى فوائدهما وضما لشمل فرائدهما وعسى ان يحمد اثري فيما آثرت ويستظرف رأي رأيت فيه واشرت والله تعالى يوزعنا من الاعتقاد ارضاه ومن العمل احسنه ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فافتتح الظرائف واللطائف بقوله

حمدا حمدا لخالق الخلق وباسط الرزق وصلواته على الصادع بالحق محمد رسوله الداعي الى الصدق وشكرا شكرا

لبحر المجد وبدر الارض مولانا الامير السيد الملك المؤيد العادل العالم ابي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه مولى امير المؤمنين ادام الله سلطانه وحرس عزه ومكانه فقد بسط باع العدل واطال عنان الفضل وجلا صفحة الاحسان وفرش مهاد الامن والامان ونشر شعاع اليمن على اهل الايمان واقام قناة الدين ومد رواق الملك المتين وفاق من في الارض بمكارم الاخلاق وكاد يحكيه صوب الغيث منسكبا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا والدهر لو لم يجر والشمس لو نطقت والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا نعم وجدد رسوم العلم بعد ان نسجت عليها العنكبوت واحيى انواع الآداب وقد كادت ان تموت فهو يحبها حب المحسن لمن احسن اليه والغارس غرس يديه ويتوفر على استجلاء ما بعد من درها واستثارة ما كمن من غررها ويحرص عليها حرص النفس على تنفس الهواء ويطلبها طلب طير الماء للماء ذلك لامتزاج الادب بطبعه كامتزاج الشرف بنبعه والتحام الفضل بخلقه كالتحام الكرم بخلقه وكونه من السودد في سواد عينه وسويداء قلبه فعين الله عليه من كل طرف عاين وقلب خاين وادام الله جمال العالم بطول عمره وثبات ملكه ونفاذ امره وانتظام سلكه ولا اخلاه من علو الراية وادراك الغاية واعزاز الاوليا واذلال الاعدا ولقاه النجح بين مطارح آرائه ومصارف اقلامه والصنع في مضارب سيوفه ومنافذ اعلامه

وهذا دعاء لو سكت كفيته ۞ لانى سالت الله فيك وقد فعل
ثم ان هذا الكتاب دلنى على ما استسعد به من الخدمه
واستشعرته من شكر النعمه على ابتداء وضعه وابتداع جمعه
واختراع ما لم اسبق الى مثله ولم اشارك فى ارتباط شكله فالفته
بالاسم العالى بمنة الله فى مدح كل شئ وذمه وتزيينه وتهجينه
وسياقه احسن ما حاضرت به فيه وفى ضده وترجمته
باللطايف والظرايف والاضداد واقتبح اليواقيت فى
بعض المواقيت بخطبة هذه نسختها الحمد لله ما امكن
الحمد الى ان ينقطع العد وصلواته على خير من ارسل بخير
ما انزل محمد المصطفى وآله واصحابه الذين ارتضى هذا
اطال الله بقاء الامير الاجل كتاب مترجم باليواقيت فى بعض
المواقيت فى مدح كل شئ وذمه ولم اسبق الى جمعه وابتداع
وضعه وشاهدى على دعواى ان خزانة كتبه عمرها الله بدوام
عمره ونظام امره وهى ام الفقر والغرر ومعدن الملح والطرف
وقانون التحف والنكت خالية من مثله فى فنه وان العبد ابا نصر
سهل بن المرزبان وهو حليف الكتب واليفها وابن بجدتها
واخو جملتها وابو عذرتها لم تقع عينه على شبهه وطالما اقترح على
الزمان ان يتفق لاحد تاليفه ويتقدم له تبويبه وترتيبه فى نشئته
بنيسابور وتطرفته بجرجان وتنصفته بالجرجانية واستتمته
بغزنة اذ كان مذخورا للعالى مجلسه ومقصورا على خزانة مجلسه
ولم يعن عليه الا علو همته ويمن دولته واذا كان مولانا اوحد السادات

وهم آحاد الدنيا وفرد الملوك وهم افراد العليا فينبغى ان يكون الكتاب الذى يخدم به من وسائط عقود الادب واناسى عيون الكتب ولئن احيانى الله تعالى على يده ورزقنى المثول بحضرة عزه وكعبة سودده لانفقن باقى عمرى على خدمته واغرب وابدع تاليفا باسمه وسمته لازال مولانا للمحاسن كالينبوع للماء والزند للنار وادام الله ملكه واعز نصره وزاد علو امره واراه من اشباله واهلته ليوثا وبدورا يستقلون باعباء المملكة ويصلون جناحه فى حماية الحوزة ويرحم الله عبدا قال آمينا وهذا الكتاب مشتمل على مائة واثنين وستين بابا والله الموفق للصواب فى استغراق الابواب

الباب الاول فى مدح الدنيا

فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه الدنيا حلوة خضرة فمن اخذها بحقها بورك له فيها وذكر امير المؤمنين على رضى الله عنه الدنيا فقال هى دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها هى مسجد احباء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر اوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها واهلها وشوقت بسرورها الفانى الى السرور الباقى وحذرت ببلائها الماضى البلاء الغابر التالى ترغيبا وترهيبا فيا ايها الذام المغتر بتغريرها المنخدع لاباطيلها متى غرتك عن نفسك بمصارع ابائك البلى ام بمضاجع

اتمها تلك تحت الثرى فهذا احسن ماروى فى مدحها وقال ابن المعتز فى رسالة له الدنيا دار التأديب والتعريف ومضمار التهذيب والتثقيف التى بمكروهها يوصل الى المحبوب الآخر وميدان الاعمال السابقة باصحابها الى الجنان ودرجة الفوز التى يرقى فيها المتقرب الى دار الخلد والرضوان وهى الواعظة لمن عقل والناصحة لمن قبل وبساط المهل ومهاد العمل وقاصمة الجبابرين وملحقة الرغم بمعاطس المتكبرين وكاسية التراب ابدان المختالين وصارعة المغترين ومصرعة المعترين ومفرقة اموال الباخلين وقاتلة القاتلين والعادلة بالموت على العادلين ومهبط القرآن المبين ومسجد العابدين وام النبيين وناصرة المؤمنين ومبيدة الكافرين والحسنات فيها مضاعفة والسيئات بالانابة ممحوة ومع عسرها يسران والله تعالى ضمن ارزاق اهلها واقسم فى كتابه بما فيها ورب طيبة من نعيمها قد حمد الله عليها فتلقتها ايدى الكتبة وجنت بها الجنة ورب مال من زينتها وجه الى معروفها فكان جوازا على الصراط وكم نائبة من نوائبها وحادثة من حوادثها قد راضت الفهم ونبهت الفطنة واذكت القريحة وافادت فضيلة الصبر وكثرت ذخائر الاجر وقيل لعلى رضى الله عنه يا امير المؤمنين الا ترى حرص الناس على الدنيا فقال هم ابناؤها فأخذ هذا المعنى محمد بن وهب الحميرى وقال

نراع لذكر الموت ساعة ذكره ونعترض الدنيا فنلهو ونلعب

وقد صمت الدنيا الى صروفها وخاطبني اعجامها وهو معرب
ولكننا منها خلقنا لغيرها وماكنت منه فهو شيء محجب

وقال ابو العتاهية

ما احسن الدنيا واقبالها اذا اطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضلها عرض للادبار اقبالها

وقال محمود الوراق

هي الدنيا و زخرفها ولكن ما مصايرها
لئن غرت منابرها فقد وعظت مقابرها
وان غشت مواردها فقد نصحت مصادرها

قال وانشدني ابو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي لبعضهم

تذم دنيا ان تاملتها وجدت منها ثمن الجنه

وقال عبد الملك بن صالح ما جمشت الدنيا باظرف من النبيذ فنظمه ابو محمد بن مطران الشاشي

الا ان دنياك معشوقة يفاديها كل عيش لذيذ
ولكنها قط ما جمشت من الملهيات بمثل النبيذ

وقلت في كتاب المبهج الدنيا معشوقة ريقها الراح

الباب الثاني في ذم الدنيا

قال بعض الحكماء الدنيا غدارة غرارة ان بقيت لها لم تبق لك وقال آخر واجد الدنيا سكران وفاقدها حيران وقال آخر افق من اشغال الدنيا اذا اقبلت ومن حسراتها

اذا ادبرت وقال آخر ان الدنيا ليست تعطيك لتسرك ولكن لتغمك وتغرك وقال آخر الدنيا اشبه شئ بظل الغمام وحلم النيام وقال الحسن حلالها حساب وحرامها عقاب وقال يحيى بن معاذ الدنيا خمر الشيطان فمن شرب منها سكر فلم يفق الا في عسكر الموتى نادما خاسرا وقال ايضا الدنيا جارية زانيه ولو كانت عفيفة لم يقربها احد وقالت عابدة الدنيا قحبة فيوما عند عطار ويوما عند بيطار وقال ابن السماك الدنيا كالعروس المجلوة تسر خطابها وتفتن بغرورها فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهه والابدان لها عاشقه وهي لازواجها قاتله وقال ابن المعتز اهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام وقال آخر خير الدنيا حسرة وشرها ندم وقال آخر مصائب الدنيا اكثر من نبات الارض وقال المأمون لو نطقت الدنيا ما وصفت نفسها باحسن من قول ابي نواس

وما الناس الا هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

وقد الم به ابن بسام بقوله

أف للدنيا وايامها ... فانها للحزن مخلوقه

غمومها لا تنقضي ساعة ... عن ملك فيها ولا سوقه

يا عجبا منها ومن شأنها ... عدوة للناس معشوقه

ومن الامثال السائرة فيها قول مسلم بن الوليد الانصاري

دَلّتْ على عيبها الدنيا وصدّقها ... ما استرجع الدهر مما كان اعطاني

وقول ابن الرومي

لِمَا تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكونُ بكاء الطفل ساعة يولد
وإلا فما يُبكيه فيها وانها ... لأفسح مما كان فيه وارغد
اذا ابصر الدنيا استهل كأنه ... بما سوف يلقى من اذاها يهدد

وقال المتنبي

ابدًا تستردّ ما تهب الدنيا ... فيا ليت جودها كان بخلا
وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهدًا ولا تتمم وصلا
شيم الغانيات فيها فلا ادري الى ما اشتقت عن الناس اهلا

وقال آخر

افّ لدنيا نالدنيه ... خبثت فعلًا ونيّه
عيشها بدؤه هم ... وعقباه المنيّه

وقلت من قصيدة

تسلّ عن الدنيا ولا تخطبنها ... ولا تنكحنْ قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها ... ومكروهها اما تدبرت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا ... وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراه ذعاف ومركب ... شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يعجب الناس حسنه ... ولكن له اسرار سوء قبائح

وقال آخر

هي الدنيا تقول بملء فيها ... حذار حذار من بطشي وفتكي
ولا يغرركم طول ابتسامي ... فقولي مضحك والفعل مبكي

وقلت في الكتاب المبهج نسيم الدنيا يقصر عن سمومها واغذيتها لا تفي بسمومها وفيه ساكن الدنيا راحل وانفاسه رواحل وايامه مراحل وفيه الدنيا عروس تغتال الاخدان وتختان الاختان وفيه ام الدنيا ام وتحت بشرها غمر وفيه اقبال الدنيا كالمامة ضيف اوسحابة صيف اوزيارة طيف وفيه هبات الدنيا منغصة باحداثها وقصورها منغصة باجداثها وفيه صاحب الدنيا بين العسل والصاب والصحة والاوصاب وفيه المرء من دنياه بين اماني ممدوده وعواري مردوده

اي تهلك

الباب الثالث في مدح الدهر

قال بعض الحكماء الدهر انصح المؤدبين وقال آخر قد وعظنا الدهر لو اتعظنا ونصحنا لو انتصحنا

وقال الشاعر

عمري لقد نصح الزمان وصرفه ومن العجائب ناصح لا يشفق

وقال العتابي من لم يؤدبه والداه ادبه الليل والنهار

وقال بشار

ان دهرا يضم شملي بسلمى لزمان قد همّ بالاحسان

وقال البحتري

هل الدهر الا غمرة وانجلاؤها وشيكا والا ضيقة وانفراجها

وقال الاخطل

وان امير المؤمنين وفعله … لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وقال آخر

يقولون الزمان به فساد … لقد فسدوا وما فسد الزمان

وانشدني العباسي المأموني لبعضهم

تذم دهرك جهلاً في تصرفه … لا تشك دهرك ان الدهر مأمور

ما ذنب دهرك والاقدار غالبة … وكل امر اذا وافاك مقدور

فاصبر على حدثان الدهر وارض به … ما دام في الدهر مهموم ومسرور

وانشدني ابو القاسم حبيب المذكر لغيره

رضى بالدهر كيف جرى وصبرا … ففي ايامه جمع وعيد

ولم يخشن عليك فصيب عود … من الايام الا لان عود

ولابي الفتح بن العميد

اين لي من يفي بشكر الليالي … حين ضاقت خيالها بخيالي

لم يكن لي على الزمان اقتراح … غيرها منية تجاد بها لي

وللوزير المهلبي

رق الزمان لفاقتي … ورثى لطول تحرقي

وانالني ما ارتجي … واقالني مما اتقي

فلاصفحن عما جناه … من الذنوب السبق

حتى جنايته بما … فعل المشيب بمفرقي

الباب الرابع في ذم الدهر

قال بعض الحكماء اف للدهر ما اكدر صافيه
واخيب راجيه واعدى ايامه ولياليه وقال آخر
من له يدان بعوائل الزمان وقيل يسار الدهر في الاخذ
اسرع من يمينه في البذل لا يعطى بهذه الا ارتجع بتلك
وقال آخر الدهر لا يؤمن يومه ويخاف غده ويرضع
ثديه وتجرح يده وقيل الدهر يغر ويمر ويسوء من حيث
يسر وقال آخر الدهر لا تنتهى فيه المواهب حتى تخللها
المصائب ولا تصفو فيه المشارب حتى تكدرها الشوائب
وفي فصل ابن المعتز هذا زمان متلون الاخلاق
متداعى البنيان موقظ الشر منيم الخير مطلق اعنة
الظلم حابس روح العدل قريب الاخذ من الاعطاء والكآبة
من البهجة والقطوب من البشر مر الثمرة بعيد المجتنى
قابض على النفوس بكربته منيخ على الاجسام بوحشته
لا ينطق الا بالشكوى ولا يشكى الا على غصص وبلوى
ومن مثله فصل للصاحب الزمان حديد الظفر
لئيم الظفر حلو المورد مر المصدر اثره عند المرء كاثر
السيف في الضريبه واللبث في الغريبه ولشمس المعالى
قابوس بن وشمكير الدهر شر كله مفصله ومجمله ان
اضحك ساعة ابكى سنه وان اتى بسيئة جعلها سنه
ومن اراد منه غير هذا سيره اراد من الاعمى عينا بصيره
ومن ابتغى منه الرعايه ابتغى من الغول الهدايه

ومن

ومن احسن ما قيل في ذمه قول ابن المعتز وهو الامام في ذلك

الست ترى يا صاح ما اعجب الدهرا   فذماً له لكن للخالق الشكرا
لقد حبب الموت البقاء الذي أرى   فيا حسداً مني لمن يسكن القبرا

وله

يا دهر ويحك قد اكثرت فجعاتي   شغلت ايام دهري بالمصيبات
ملأت الحاظ عيني كلها حزناً   فاين لهوي واحبابي ولذاتي
حمداً لربي وذماً للزمان فما   اقل في هذه الدنيا مسراتي

وله

يا صاحبي ان الزما   ن كما علمت وما علمته
يفني الذي جمعته   بيد ويحصد ما زرعته
ويخون من صافيته   عمداً ويعشق من مقته
وجهلته فحمدته   وذممته لما عرفته
ولطالما عاتبته   حتى على رغم تركته

وقال عبد الله بن طاهر

الم تر ان الدهر يهدم ما بنى   ويأخذ ما اعطى ويفسد ما اسدى
فمن سره ان لا يرى ما يسوءه   فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا

وقال بعضهم

الم تر ان الدهر يوم وليلة   يكران من سبت عليك الى سبت
فقل لجديد الدهر لا بد من بلى   وقل لاجتماع الشمل لا بد من شت

وقال البستي

صبراً على الدهر الخؤن وريبه   يا نفس كيلا تبتلي بكلابه

لبعضهم

واذا صبرت على اساءة ظالم   لا تندمى فثوابه بك لابه

ومن قلائد ابن الرومى فى هذا المعنى

دهر علا قدر الوضيع به   وترى الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه   سفلا وتعلو فوقه جيفه

وانشدنى ابو بكر الطبرى

الدهر يستخدم من يخدم   حتى يذيق الهون من يكرم
كالارض لا تطعم من فوقها   الا لكى تطعم من تطعم

ولغيره

يا محنة الدهر كفى   ان لم تكفى فخفى
ما ان يكن رحيما   من طول هذا التشفى
ذهبت اطلب بختى   فقيل لى قد توفى
ثور ينال الثريا   وعالم متخفى

ولابى محمد المروزى

تقاضاك دهرك ما اسلفا   وكدر عيشك بعد الصفا
فلا تنكرن فان الزمان   جدير بتشتيت ما الفا

ولابى جعفر الموسوى

اى خير ترجو بنى الدهر فى الدهر   وما زال قاتلا لبنيه
من يعمر يفجع بفقد الاخلا   ومن مات فالمصيبة فيه

وقلت

اقول والقلب مكدود باحزان   والصبر ابعد مما بين اجفانى
حتى متى انا يدمى العض انملتى   غبطا على زمن قدرا مزمانى

فكل يوم اراني من نوائبه   كانني اصبع والدهر اسناني

وقلت ايضاً

كم الى كم تبرمي بحياتي   انلوي تلوى الحيات

تحت عبء من الزمان ثقيل   وخطوب قوسن مني قناتي

ولابن لنكك البصري

يا زماناً البس الا   حرار ذلاً ومهانه

لست عندي بزما   ن انما انت زمانه

كيف ارجو منك خيراً   والعلى فيك مهانه

اجنون ما اراه   منك يبدو ام مجانه

ولقابوس بن وشمكير

قل للذي بصروف الدهر عيرنا   هل عاند الدهر الا من له خطر

وفي السماء نجوم لا عداد لها   وليس يكسف الا الشمس والقمر

اما ترى البحر تعلو فوقه جيف   وتستقر باقصى قعره الدرر

وقال آخر

يا دهر ويحك ماذا الغلط   وضيع علا وشريف هبط

حمار يرتع في روضة   وطرف بلا علف يرتبط

الباب الخامس في مدح السلطان

قد قرن الله تعالى طاعته وطاعة النبي بطاعة السلطان حيث قال جل ذكره اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم السلطان

للمعتصم
وقائلة لم عرتك الهموم   وامرك ممتثل في الامم
فقلت ذريني على حالتي   فان الهموم بقدر الهمم

خ الارض

ظلّ الله فى ارضه يأوى اليه كلّ مظلوم من عباده فاذا
عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه
الاصر وعلى الرعيّة الصبر واذا جارت الولاة قحطت السماء
وقال امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه
ما يزع الله بالسلطان اكثر ممّا يزع بالقرآن وقال
الفضيل بن عياض رحمه الله لو كانت لى دعوة مستجابة لجعلتها
للسلطان قيل ولم تقدّمه على نفسك قال ان دعوتى لنفسى
لا تنفع غيرى فاذا كانت له انتعش البلاد والعباد بعدله وصلاحه
وقال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه لابدّ
للامام من وزعه وقيل للحسن ما تقول فى السلطان
فقال ما عسيت ان اقول فى قوم يلون من امورنا خمسة الجمعة
والجماعة والثغور والحدود والفئ والله ما يستقيم الدين الا بهم
وان جاروا وظلموا ولما يصلح الله بهم اكثر ممّا يفسد وقال
الجاحظ لولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضا كما انه
لولا الراعى لاتت السباع على الماشية ومن الامثال
جاور ملكا او بحرا وفى فصول ابن المقفع فساد الرعيّة
بلا سلطان كفساد الجسم بلا روح وفى بعض كتب العجم
ان الملك العادل كالشمس فى الشتاء والقمر فى الخريف والرخاء فى
جميع الازمنة وهو فى الاصحاب كالرأس فى الجسد وفى الاوقات الصعبة
كماء الغسل وفى الحرب كالحريق المشتعل وقيل مثل الاسلام
والسلطان والاعوان والرعيّة كالفسطاط والعمود والاطناب

والاوتاد لا يقوم بعض ذلك الا ببعض وقال
ابن المعتز الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى
وذكر ابن المقفع في يتيمته السلطان وما للناس
فيه من كثرة المنافع وكثرة المضار كالشمس في النهار فاحسن
كل الاحسان وشبه ما يصل الى اكثر الناس من عدله وفضله
مع ما يمس بعضهم من الظلم بالغيث الذي يغيث البلاد
وينعش العباد ويعم الاودية ويتداعى له البنيان وتكون
فيه الصواعق والرياح التي هي روح النفوس ولقاح الثمار
وبها تسير سحائب الجو وسفائن البحر وقد تضر بكثير من
الناس وتتعدى الى اموالهم ونفوسهم وبالشتاء والصيف
الذي بتعاقبهما صلاح الحرث والنسل وحياة الحيوان والنبات
وقد يكون الضرر والاذى في البرد اذا لذع والحر اذا سفع
وبالليل الذي جعله الله سكنا ولباسا وقد تعدو فيه هوام
الارض وسباعها ويستوحش به الوحيد وذو العلة
والمسافر في القفر وبالنهار الذي جعله الله ضياء ونشورا
ومعاشا وقد تصبح فيه الغارات والوقائع ويكون في
ظهائره النصب واللغوب وليس ما يصل الى الآحاد والشذوذ
من مكروه الامور العامة النفع مزيلا لها عن طريق الحمد
وكذلك المضار اذا اتفقت بان تتضمن
نفعا للقليل من الناس مع اجحافها بالكثير
لم تزل عن طريق الذم ٥

الباب السادس في ذم السلطان

قالت بعض الحكماء اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي ويأخذ اخذ السبع ومن الامثال الملك عقيم اي لا ارحام بين الملوك وبين احد فيها ما من ملك الا استأثر وقال المأمون ان فينا معشر الملوك حسدا واستئثارا ومحكا ولجاجا وكان ابو علي الصغاني يقول من والانا اخذنا ماله ومن عادانا اخذنا رأسه وفي كتاب كليلة ودمنة من سكر السلطان انه يرضى عمن استوجب السخط ويسخط على من استوجب الرضى من غير سبب معلوم وكذلك قالت العلماء خاطر من لج في البحر واشد مخاطرة منه خادم السلطان وقيل اسرع الاشياء تقلبا قلوب الملوك ويقال اذا تغير السلطان تغير الزمان وقيل سكر السلطان اشد من سكر الخمر ويقال اعتزل السلطان بجهدك فان من خدمه بحقه وشرطه يحال بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن لم يوف خدمته حقها خسر الدنيا والآخرة وقال الفضل ابن مروان يقول ما رايت اقرب رضى من سخط ولا اسرع ما بين قرب رضى وسخط من الملوك ويقال ثلاثة لا امان لهم البحر والزمان والسلطان وكان حذيفة

ابن اليمان يقول اياكم ومواقف الفتن يعني ابواب السلاطين
وقال ملك لبعضهم لم لا تأتينا قال ما اصنع باتيانك
وانك ان ادنيتني فتنتني وان ابعدتني حزنتني ويقال
ثلاثة لا ينبغي للعاقل ان يغتر بهن المال والصحة والمنزلة
من السلطان وقال البديع ان الملوك ان خدمتهم
ملوك وان لم تخدمهم اذلوك وكان الضحاك بن مزاحم
يقول اني لاسهر عامة ليلي مفكراً التمس كلمة ارضي بها
سلطاني ولا اسخط ربي ولا اجدها

الباب السابع في مدح عمل السلطان

كان معاوية رضي الله عنه يقول نحن الزمان من رفعنا
ارتفع ومن وضعناه اتضع وعوتب بعض الحكماء
على خطبته عمل السلطان فقال لقد خطبه وطلبه
الصديق ابن اسرائيل ابن الذبيح ابن الخليل عليهم السلام
حيث قال للملك بمصر اجعلني على خزائن الارض اني
حفيظ عليم وفي كتاب كليلة ودمنة مثل
السلطان في اقباله على الاقرب فالاقرب منه دون
الافضل فالافضل مثل الكرم الذي لا يتعلق بابعد الشجر
بل باقربها منه ومن امثال هذا الباب قول زياد في رجل
ولي تحصيب جامع البصرة آثر الامارة ولو على الحجارة
ومن امثال العجم من تبع الاسود لم يحرم لذيذ الصيد

بعضهم
اذا صحبت الملوك فالبس
من التوقي اعز ملبس
وادخل اذا ما دخلت اعمى
واخرج اذا ما خرجت اخرس

ومن امثال بغداد غبار العمل خير من زعفران التعطيل وكان يونس النحوى يقول الولاية وكل مدح العزل وكل ذم والشيب وكل عيب ويقال اربعة لا يستحيا من خدمتهم السلطان والولد والضيف والداء وكان احمد بن اسرائيل يقول اربعة لا يقيمها الا عمل السلطان اتصال الدعوات واتخاذ القينات والابنية والتمتع بالسرارى الثمينه ويقال من خدم السلطان فهو خادم من جهة ومالك من اخرى ومن خدم الرعية فهو خادم من كل جهة ويقال من خدم السلطان خدمه الاخوان والجيران وقيل اربعة لا يستقل قليلها النار والمرض والعدو والسلطان

الباب الثامن فى ذم عمل السلطان

من امثال العامة صاحب السلطان كراكب الاسد يهابه الناس وهو من مركبه اهيب وقيل من تحسى مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد حين وقيل من اكل من مال السلطان زبيبة اداها تمرة وفى كتاب كليلة ودمنة مثل السلطان كالجبل الصعب المرتقى الذى فيه كل ثمرة طيبة وكل سبع حطوم فالارتقاء اليه شديد والمقام فيه اشد وكان ابراهيم بن العباس يقول اصحاب السلطان كقوم رقوا جبلا ثم وقعوا منه

فكان اقربهم الى الردا ابعدهم فى المرقى ويقال
دوام التعب خدمة السلطان وقيل من اراد العز
بالسلطان لم ينله حتى يذل ومن فصول ابن المعتز
اشقى الناس بالسلطان صاحبه كما ان اقرب الاشياء
الى النار اشدّ احتراقا وقال ايضاً من شارك
السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة ويقال
لا تتشبث بالسلطان فى وقت اضطراب الامور عليه
فان البحر لا يكاد يسلم منه راكبه فى حال سكونه فكيف
عند اختلاف رياحه واضطراب امواجه وقيل
لا يدرك الغنى بالسلطان الا بكل نفس خائفة وجسم
تعب ودين منثلم وقد نظمه ابو الفتح البستى فقال
يا من يرى خدمة السلطان عدّته * ما ارش كذلك الا الكد والندم
دع الملوك فخير من وجودكما * ترجوه عندهم الحرمان والعدم
انى ارى صاحب السلطان فى ظلم * ما مثلهن اذا قاسى الفتى ظلم
فجسمه تعب والنفس خائفة * وعرضه عرضة والدين منثلم

ولــه ايضــاً

صاحب السلطان لا بدّ له * من غموم تعتريه وغمم
والذى يركب بحراً سيرى * قحم الاهوال من بعد قحم

وللصاحب فى معناه

اذا ادناك سلطان فزده * من التعظيم واحذره وراقب
فما السلطان الا البحر عظما * وقرب البحر محذور العواقب

ويقال الولاية حلوة الرضاع مرة الفطام وقال
بعض الزهاد تباعد من السلطان ولا تأمن خدع
الشيطان ويقال العزل طلاق الرجال

وقال ابن المعتز

سكر الولاية طيب   وخماره ذل شديد
كم تائه بولاية   وبعزله ركض البريد

وكان ابن ابي البغل يقول لا تعدن مال المنصرف
مالاً فانه يغدو غنياً ويروح فقيراً وفي فصل للصابي
تهنئة بالعزل ليهن مولاى خفة الظهر ودعة الصدر
بالتفصي عن العمل الذى هو مع هذه العواقب الوخيمة
والرسوم الذميمة بمنزلة الحبائل المبثوثة والاشراك المنصوبة

بعضهم
ان الولاية لا تدوم لواحد
ان كنت تنكره فاين الاول
فاغرس من الفعل الجميل صنائعا
فاذا عزلت فانها لا تعزل

الباب التاسع في مدح الوزارة

الوزارة اسم جامع للمجد والشرف والمروءة وهي تلو الامامة
والدرجة العليا والرتبة الكبرى في الرياسة والسيادة
وللمنصور النميري في يحيى بن خالد البرمكي

ولو علمت فوق الوزارة رتبة   تنال بمجد في الحياة لنالها

والانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يستغنوا عن
الوزراء فكيف العظماء والملوك وقد نطق القرآن
بوزارة هارون لموسى عليهما الصلاة والسلام حيث
قال جل وعز حكاية عن دعاء موسى واجعل لي وزيراً من اهلي

هارون اخى اشدُد به ازرى واشركه فى امرى ثم قال
فى نظام الآية قد اوتيت سؤلك يا موسى فدل على انه
جعله وزيره وصاحب امره وشريكه وافصح عن حسن
اثر موقع الوزارة وجلالتها ووقوع الحاجة اليها وكان
آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وكان
محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول لى وزيران من اهل
الارض ووزيران من اهل السماء فاما اللذان فى الارض
فابوبكر وعمر واما اللذان فى السماء فجبريل وميكائيل
عليهما السلام وقال عليه السلام اذا اراد الله
بملك خيرًا جعل له وزيرًا صالحًا ان نسى ذكره وان نوى
خيرًا اعانه اواراد شرًّا كفه وقيل لا تغترر بكرامة
الامير اذا غشك الوزير والى هذا اشار ابن العميد
وزاد فيه حيث قال لصديق له من العلوية وكان مختصًّا
باميره ركن الدولة

وزعمت انك لست تفكر بعدما	علقت يداك بذمة الامراء
هيهات لم تصدق فكرتك فى التى	قد اوهمتك غنًى عن الوزراء
لم تغن عن احد سماء لم تجد	ارضًا ولا ارضًا بغير سماء

والذى يحكم بشرف الوزراء ومكانتهم ومشاركتهم للملوك
فى الامور وتصريف اعنة التدابير ما فى المزدوجة المعروفة
ذوات الحلل قصيدة ابن المعتز

اذا طلبت نائل الامير	فالطف له من قبل الوزير

وكان انوشروان يقول لا يستغنى اعلم السلاطين عن الوزير ولا اجود السيوف عن الصقال ولا افره الدواب عن الصوت ولا اعقل النساء عن الزوج

وما احسن قول ابى تمام لمحمد بن عبد العظيم وزير المعتصم والواثق بعده

اباجعفر ان الخليفة ان يكن لواردنا بحراً فانك ساحله
تقطعت الاسباب ان لم يغزلها قوى او يصلها من بينك واصله

اغار الحبل اذا احكم فتله

وقال آخر

لامير المومنين المرتجى بحر جود ليس يعدوه احد
وابو النجم لمن يقصده مشرع منه الى البحر برد

وكان الصاحب يقول مدحت بمائة الف بيت ليس احب الى من قول ابى سعيد الرستمى حيث قال

ورث الوزارة كابراً عن كابر موصولة الاسناد بالاسناد
يروى عن العباس عباد وزا رته واسمعيل عن عباد

الباب العاشر فى ذم الوزارة

كان احمد بن اسرائيل يذم الوزارة ويستكثر منه فلما خطبها وتقلدها قيل له الم تكن تذمها قال بلى ولكنها مركب بهى شريف شهى لا تطيب النفوس بتركه على ما فيه من عظيم الخطر وقال المأمون لاحمد بن خالد هل لك فى ان استوزرك قال دعنى يا امير المومنين

يكون بيني وبين الغاية درجة يرجوها الصديق ويخافها العدو فلست اريد بلوغ الغاية لئلا يقول عدوى قد بلغها وليس الا الانحطاط وقد قال الشاعر

ان الوزير وزير آل محمد ... اودى فمن يشناك كان وزيرا

اى هلك

وكان ابراهيم بن المدبر اذا عرضت عليه الوزارة انشد قول العتابي

تلوم على ترك الغنى باهلية ... نفى الدهر عنها كل طرف وتالد

ترى حولها النسوان يرفلن كالدمى ... مقلدة اعناقها بالقلائد

فقلت لها لما رأيت دموعها ... تحدرن فوق الخد مثل الفرائد

ايسرك انى نلت ما نال جعفر ... من المال او ما نال يحيى بن خالد

وان امير المؤمنين اعضني ... معضهما بالمرهفات البوارد

ذريني تجيئني ميتتى مطمئنة ... ولم اتجشم هول تلك الموارد

فان عليات الامور مشوبة ... بمستودعات في بطون الاساود

اى الحيات

وقال بعض الحكماء اكثر الناس حاسدا وعدوا ومنابذا وزير السلطان وكان في كتاب مروان اخوف ما تكون الوزراء عند سكون الدهماء وقيل مثل الملك الصالح اذا كان وزيره فاسدا مثل الماء الصافي العذب النمير الذى فيه التماسيح لا يستطيع الانسان وروده وان كان عائما والى الماء حائما وللبستي في معناه

الحائم العطشان

حرضوني على وزارة بست ... ورأوها من اعظم الدرجات

قلت لا اشتهي وزارة بست ... انني لم آمل بعد حياتي

وله

أكاتب بست كم تفاخركم على   وزارة بست وهى قاصمة الظهر
وزارة بست كالهباء اذا سرى   ومدتها منذ الغداة الى الظهر
فلا تخطبنها انها ضرة النهى   وبغيتها روح البعولة فى المهر

وله

وزارة الحضرة الكبيره   خطيئة بل هى الكبيره
فلا تردها ولا تردها   فانها محنة مبيره

الباب الحادى عشر فى مدح العقل

قال الله تعالى فى شأن تعظيم العقل ان فى خلق السموات والارض الى قوله لآيات لقوم يعقلون وقال جل ذكره فاتقون يا اولى الالباب وقال عز اسمه ان فى ذلك لعبرة لاولى الالباب وقال النبى صلى الله عليه وسلم الناس يعملون الخيرات وانهم يعطون اجورهم يوم القيمة على قدر عقولهم وقيل له عليه السلام فى الرجل الحسن العقل الكثير الذنوب فقال ما من آدمى الا وله خطأ وذنوب فمن كانت سجيته العقل لم تضره ذنوبه لانه كلما اخطأ لم يلبث ان يتدارك ذلك بتوبة تمحو ذنوبه وتدخله الجنة وقال سعيد بن المسيب فى قوله عز وجل واشهدوا ذوى عدل منكم يعنى ذوى عقل وقال مجاهد فى قوله تعالى جده ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى عقل وقال الضحاك فى قوله جل ثناؤه لينذر من كان حيا اى عاقلا

وقال الحسن العقل هو الذى يهدى الى الجنة وينجى عن النار لقوله عز وجل حكاية عن اهل النار وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير وقال حكيم لا مال اعوز من العقل وقيل العقل اشرف الاحساب وما عبد الله بمثل العقل وقال آخر العقل احصن موئل وقال آخر اشد الفاقة عدم العقل وقال آخر كل شئ اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا ومن فصول ابن المعتز العقل غريزة تربيها التجارب ومنها حسن الصورة الجمال الظاهر وحسن العقل الجمال الباطن ومنها ليست الصورة الانسان انما الانسان العقل ومنها ما ابين وجوه الخير والشر فى مرآة العقل ان لم يصدها الهوى ومنها العقل صفاء النفس والجهل كدرها وقال الشاعر

يعد رفيع القوم من كان عاقلا　　وان لم يكن فى قومه بحسيب
اذا حل ارضا عاش فيها بعقله　　وما عاقل فى بلدة بغريب

وفى كتاب زهر العيون فى الجد والمجون فى مدح العقل قال صلى الله عليه وسلم لما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا اكرم على منك بك آخذ وبك اعطى وبك اثيب وبك اعاقب ثم قال لو ان رجلا قاتل فى سبيل الله وحج واعتمر وغزى لما دخل الجنة الا بمقدار عقله وقال امير المؤمنين

على رضى الله عنه العقل قرة عين والجهل رائد حين وقيل رغبة العاقل فيما يكفيه وهم الجاهل فيما لا يعنيه وقيل من اتعظ بابلغ العظات نظر الى محلة الاموات ومصارع الآباء والامهات وقلت فكرته فى الشهوات

الباب الثانى عشر فى ذم العقل

كان يقال العقل والهم لا يفترقان وقال ابن المعتز

وحلاوة الدنيا لجاهلها ومرارة الدنيا لمن عقلا

ومن قصار فصول ابن المعتز العاقل لا يحزن بما ستره الله من عيوبه بل يفرح بما اظهره الله من محاسنه وفصل له يليق بهذا الباب فى نهاية الحسن العقل كالمرآة المجلوة يرى صاحبه فيها مساوى نفسه فلا يزال فى صحوه مهموما متعذر السرور فاذا شرب صدئ عقله بمقدار ما شرب فان اكثر منه غشيه الصدأ كله حتى لا تظهر له صورة تلك المساوى فيفرح ويمرح والجهل كالمرآة المصدئة ابدا فلا يرى صاحبه الا مسرورا ابدا نشطا قبل الشرب وبعده ومن قلائد المتنبى قوله

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله واخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

قال ابو الفتح بن جنى هذا كقولهم ما سر عاقل قط ولما عزل عمر بن الخطاب زيادا عن عمل كان يتولاه له قال له زياد يا امير المؤمنين امن عجز او خيانة فقال لا من احدهما

ولكنى كرهت ان احمل على الناس فضل عقلك وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول لوكان للناس كلهم عقول لخربت الدنيا وقال آخر لولا الحمقى لبطل العالم وقال بعضهم لوكان الناس كلهم عقلاء ما اكلنا رطبا ولا شربنا عذبا يعنى ان العقلاء لا يقدمون على صعود النخيل لاجتناء الرطب ولا على حفر الآبار لاستنباط الماء البارد العذب وينشد

ولما رايت الدهر دهر الجاهل ولرار المغبون غير العاقل
شربت خمرا من خمور بابل فصرت من عقلى على مراحل

الباب الثالث عشر فى مدح العلوم

قد مدح ابو عثمان الجاحظ انواع العلوم وذمها باعيانها معربا عن قدرته على الكلام وبعد شأوه فى البلاغة وحين سئل عن الاثر فقال هو اخبار الماضين وانباء الغابرين وقصص المرسلين وآداب الدنيا والدين ومعرفة الفرض والنافله والشريعة والسنه والمصلحة والمفسده والنار والجنه الى صاحبهما تشد الرحال وحوله يعتكف الرجال ويسير به ذكره فى البلدان ويبقى اسمه على ممر الزمان قيل فالفقه قال فيه علم الحلال والحرام وبه تعرف شرائع الاسلام وتقام الحدود والاحكام وهو عصمة فى الدنيا وزينة فى الآخره يخطب لصاحبه فضل الاعمال ويخلع عليه ثوب الجمال

ويلبسه الغنى ويبلغه مرتبة القضا قيل فالكلام قال
عيار كل صناعه وزمام كل عباره وقسطاس يعرف به الفضل
والرجحان وميزان يعلم به الزيادة والنقصان وكير يميز به
الخاص والعام والخالص والمشوب ويعرف به الابريز والمستوق
وينظر به الصفو والكدر وسلم يرتقى به الى معرفة الصغير
والكبير ويوصل به الى الحقير والخطير وادلة للتفصيل والتحصيل
وادراك الدقيق والجليل وآلة لاظهار الغامض المشتبه واداة
لكشف الخفى الملتبس وبه تعرف ربوبية الرب وحجة الرسل
ويحترز به من شبهات المقالات وفساد التأويلات وبه
تدفع ضلالات الاهواء والنحل وتبطل تأويلات الاديان والملل
وينزه عن غباوة التقليد وغمة الترديد قيل فالفلسفة
قال اداة الضمائر وآلة الخواطر ونتائج العقل وادلة لمعرفة
الاجناس والعناصر وعلم الاعراض والجواهر وعلل الاشخاص
والصور واختلاف الاخلاق والطبائع والسجايا والغرائز
قيل فالنجوم قال معرفة الاهلة ومقادير الاظلة وسموت
البلدان واقدام الزوال فى كل وقت وزمان وعلم ساعات الليل
والنهار فى الزيادة والنقصان وامارات الغيوث والامطار
واوقات سلامة الزرع والثمار قيل فالطب قال سائس
الابدان والمنبه على طبائع الحيوان وبه يكون حفظ الصحه
ومرمة العله والوقوف على المنافع والمضار والابانة عن خبايا
الاسرار وعلم يضطر اليه الخاص والعام ويفتقر اليه الناس

والانعام

والانعام ولا يستغني عنه الصغير والكبير ويحتاج اليه
الحقير والخطير قيل فالنحو قال بسط من العي اللسان
ويجري من الحصر البيان وبه يسلم من هجنة اللحن وتحريف القول
وهو آلة لصواب المنطق وتشديد كلام العرب قيل فالحساب
قال علم طبيعي لاخلاف عليه واضطراري لامطعن فيه ثابت
الدلاله صائب المقاله واضح البرهان شديد البنيان سالم
من المناقضه خال من المعارضه حاكم يقطع الخلاف مؤد الى
الانصاف والانتصاف وبه حفظ الاعمال ونظام الاموال
وقوام امور الملوك والتجار وثبات قوانين البلاد والامصار
قيل فالعروض قال ميزان الشعر وعيار النظم ورائض الطبع
وسائس الفهم وبه يعرف الصحيح من المريض وفلك عليه مدار
القريض قيل فالتعبير قال علم نبوي وسفير الهي واشارة
سماويه وعبارة غيبيه وبشير ونذير يخبر عن الاشياء الغائبه
والحاضره وينبئ عن امور الدنيا والآخره قيل فالخط قال
لسان اليد ولهجة الضمير ووحي الفكر وناقل الخبر وحافظ
الاثر وعمدة الدين والدنيا ولقاح اللفظ والمعنى قال
مؤلف الكتاب فهذا آخر ما حكى عن الجاحظ في مدح العلوم
وهذا ما حاضر به في مدح العلم والعلماء عن النبي صلى الله عليه وسلم
العلماء ورثة الانبياء ويقال العلم خير من المال لان العلم
يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه
والملوك حكام الناس والعلماء حكام الملوك وقال

بعض العلماء ليس شيء اعز من العلم وقال بعض العلماء انا لم نطلب العلم لنحيط به كله اذ لا سبيل الى ذلك ولكن لنستكثر من الصواب ونستقل من الخطا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال عليه السلام اطلبوا العلم ولو بالصين وقال صلوات الله عليه لا خير فيمن لا يكون عالماً او متعلماً ومن فضائل العلوم ان شهادة اهلها مقرونة بشهادة الله تعالى جده وملائكته في قوله عز اسمه شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقال علي رضي الله عنه كفى بالعلم شرفاً انه يدعيه من لا يحسنه ويفرح اذا انسب اليه ويقال العلماء في الارض كالنجوم في السماء لولا العلم لكان الناس كالبهائم وقال بعض الحكماء العلم حياة القلوب ومصباح الابصار وقال ابن المعتز في فصوله علم الرجل ولده المخلد وقال ايضاً الجاهل صغير وان كان شيخاً والعالم كبير وان كان حدثا وقال ايضاً ما مات من احيا علماً وقلت في الكتاب المبهج العلم اشرف ما وعيت والخير افضل ما اوعيت وفيه العلماء اعلام الاسلام وايمان الايمان قال الشاعر

العلم خير اداة انت جامعها ... تلقى الرجال به في الحفل ان حفلوا
وآفة العلم ان تنسى وافضله ... دوام تخص مذاكرة كما نقلوا

وقال ايضاً

اذا العلم لم تعمل به صار حجة عليك ولم تعذر بما انت جاهله

وللامام الشافعي رضي الله عنه

اذا شئت ان تلقى عدوك راغما وتقتله حزنا وتحرقه همّا

فسام العلا وازدد من العلم انه من ازداد علما زاد حاسده غمّا

ويقال جالسوا عين قومكم يعظم حلمكم ويكثر علمكم وقال سلمان علم لا يقال ككنز لا ينفق ويقال باب من العلم جسيم اذا سئلت عن الذى لا تعلم فقلت لا اعلم

الباب الرابع عشر فى ذم العلوم

سئل الجاحظ عن العلوم فاجاب بخلاف ما تقدم ونقص ما هناك ابرم سئل عن الكلام فقال متفاوت الاصول قليل المحصول همة مناظر متملق وآلة مهذار متسوّق قيل فالفقه قال يعتقد بالاراء ويتعلق بالاهواء دقيقه لا يلحق وجليله لا ينفق وهو من علوم المدابير الحيّر فى التدابير قيل فالحديث قال همته ضعيف وآلة مسن قيل فالفلسفة قال كلام مترجم وعلم مرجم بعيد مداه قليل جدواه مخوف على صاحبه سطوة الملوك وعداوة العامة قيل فالنجوم قال ترجيم وخسف وتنجيم صوابه عسير وغلطه كثير حرفة مجدود وصناعة غير محدود قيل فالطب

قال موضوع على التخمين والحدس وتعليل النفس لا يوصل منه الى الحقيقه ولا يحكم فيه بالوثيقه قيل فالنحو قال علم مخترع وقياس مبتدع ثقيل على الاسماع قليل الارتفاع والانتفاع علم معدم وصناعة معلم قيل فالعروض قال علم مولد وادب مستبرد يستكل العقول ويستولد العفو مستفعلن وفعول من غير فائدة ولا محصول قيل فالحساب قال مستنبحم عسر ومستوخم كدر بعيد الادراك شديد الاشتباه والاشتباك قيل فالتعبير قال ظن وحسبان لا يثبت به دليل ولا برهان ولا يقوم عليه شاهد ولا تبيان علم مضعوف وصناعة مكفوف قيل فالخط قال قليل الرد يسير الرفد صناعة موزق وبضاعة مرزق فهذا ما نقل عن الجاحظ في مدح العلوم وذمها . وتقول اهل بغداد في امثالهم جهل يعولني خير من علم اعوله ومن امثالهم كف بخت خير من كر علم وفي ذلك وما اصنع بالعلم اذا اعطيت بالجهل وقال ابن ابي البغل

الدهر يصفو آمنا من جهله ... حيث الهزار لانه مترنم

لو كنت اجهل ما علمت اسرني ... جهلي كما قد ساءني ما اعلم

وقال غيره

المال يستر كل عيب في الفتى ... والمال يرفع كل نذل ساقط

فعليك بالاموال فاقصد جمعها ... واضرب بكتب العلم عرض الحائط

وكتب الى عمر بن شبة بعض اصدقائه

اغث يا شعب

اجفاء

اجفاء يا ابن شبّه   بعد نصح ومحبّه
ولزوم للدّواويـ   ـن وما يعطوك حبّه
ليس يغني عنك عند الـ   ـقوم سفيان وشعبه
فالزم الجهل فان الـ   ـجهل عند القوم رتبه
ودع العلم فان الـ   ـعلم في ذا الدّهر سُبّه

وقال بعض الشعراء للقاضي ابن خلّاد رحمه الله

قل لابن خلّاد اذا جئته   مستنداً في المسجد الجامع
هذا زمان ليس يحظى به   حدّثنا الاعمش عن نافع

الباب الخامس عشر في مدح الخطّ والقلم

يقال القلم احد اللسانين وقال اقليدس القلم صانع الكلام يفرّغ ما يجمعه القلب ويصوغ ما يسبكه اللّب وقال ايضا الخطّ هندسة روحانيه وان ظهرت بآلة جسمانيّة وقال افلاطون الخطّ عقال العقل وقال جعفر بن محمّد رضي الله عنهما لزرارة يا زرارة احسن تبسّمها من القلم وقال المأمون لله درّ القلم كيف يحوك وشي المملكة وقال ثمامة ما اثرته الاقلام لا تطمع في درسه الايّام وقال ابن المعتزّ القلم مجهّز لجيوش الكلام يخدم الاراده ولا يملّ الاستزاده كانه يقبّل بساط سلطان او يفتح باب بستان وقيل الاقلام مطايا الاوهام فامتطوها يطرد لكم الكلام

وتسهل بجريها النظام ويقال عقول الرجال تحت اسنة
اقلامها وعن بعض الفلاسفة انه قال صورة الخط
فى الابصار سواد وفى البصائر بياض وقال
مؤلف الكتاب قد نوّه الله باسم الكتابة وعظم شانها اذ
اضافها الى نفسه جل ذكره وان لم تكن تلك الاضافة
من النوع الذى يضاف الى خلقه ولا راجعة بوجه من الوجوه
الى تشبيه الا انه دلنا بها على علو رتبتها وشرف منزلتها
فقال عز من قائل وكتبنا له فى الالواح الآية وقال
تعالى جده وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس وقال
سبحانه كتب الله لاغلبن انا ورسلى وجعل جل جلاله
من ملائكته كتبة سفرة وهم ارفع الخلق درجة وقال
عز ذكره وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقال تعالى
ورسلنا لديهم يكتبون وقال جل ذكره بايدى سفرة
كرام بررة ومعلوم انه لو لم تكتب اعمال العباد لما كانت
محفوظة لا يتخللها خلل ولا يتداخلها نسيان ولا زلل لكنه
علم عز اسمه ان نسخ الكتاب ابلغ فى التحذير واوكد فى الانذار
واهيب فى الصدور واراد تعريف عباده فضيلة الخط
والكتابة واقسم عز اسمه بالآلة التى تتهيأ بها الكتابة
وهى القلم فقال ن والقلم وما يسطرون كما اقسم
بالاشياء الجليلة الاقدار الكبيرة الاخطار فى نفوس
عباده وعيون بلاده كالشمس والقمر والليل والنهار

لبعضهم
رايع الكتابة من سواد مداد والربع حسن صناعة الكتاب
والربع من قلم تقوم بريه وعلى الكواغد رابع الاسباب

والسماء والارض وذاكرت فى هذا ابا الفتح البستى فانشدنى لنفسه

اذا فخر الابطال يوماً بسيفهم … وعدّوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتّاب فخراً ورفعة … مدى الدهر انّ الله اقسم بالقلم

وفى رسالة لمؤلف الكتاب اوردها فى كتاب النظم والنثر وحلّ عقد السحر المجلس الرفيع اوّلها فى طريق اللغز وآخرها فى مدح القلم ما اصمّ سميع اخرس بليغ ضعيف قويّ مهين عزيز دقيق الجسم جليل الفعل نحيل الشخص سمين الخطب حقير المنظر شهير المخبر صغير الجرم عظيم الجرم الى آخره

وقال ابن المعتز

اذا اخذ القرطاس خلت يمينه … تفتّح نوراً او ينظّم جوهرا

وقال كشاجم

واذا نمنمت بنانك خطّاً … معرباً عن ملاحة وسداد
عجب الناس من بياض معان … تجتلى من سواد ذاك المداد

وقال البستى

ان هزّ اقلامه يوماً ليعملها … انساك كل كميّ هزّ عامله
وان اقرّ على رقّ انامله … اقرّ بالرقّ كتّاب الانام له

والعرب تقول القلم احد اللسانين واليأس احد الراحتين والرد الجميل احد الصدقتين والبشر احد القرابتين وحسن الادب احد النسبين والمرق احد اللحمين وقلة العيال احد اليسارين والحاجة احد [illegible] والقناعة احد الرزقين والسلامة احد الغنيمتين ٥

الباب السادس عشر فى ذمّ الخطّ والقلم

قال ابن المعتز

واجوف مشقوق كأنّ سنانه … اذا استعجلته الكفّ منقار لاقط
وتاه به قوم فقلت رويدكم … فما كاتب بالكفّ الّا كشارط

وقال ابو العلاء المعرى لو كان فى الخط فضيلة لما حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض اولاد الامراء الخط صناعة ولا تحسن الصناعة بالملوك

وقال كشاجم

سل بى عن الايام تعرف ... انى ابن دهر ليس ينصف
وبلاغتى معشر وفة ... سهل واخطاها التكلف
وسطور خط مونق ... كالروض والبرد المفوف
والخط ليس بنافع ... ما لم يكن خط مصحف

وقال بعض الحكماء ماذا القينا من الكتاب فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا فقد بلينا به واخذنا بحفظ فرائضه واقامة شرائطه واما فى الآخرة فانا نلقاه منشورا بسرائرنا وخفايا ضمائرنا وذكر الجاحظ عامة الكتاب فقال اخلاق حلوه وشمائل معسوله وثياب مغسوله وتظرف اهل الفهم ووقار اهل العلم فاذا صلوا بنار الامتحان والاختبار وعرضوا على محك الاعتبار كانوا كالزبد يذهب جفاء او كنبات الربيع فى الصيف تحركه هيفاء الرياح لا يستندون الى وثيقه ولا يدينون بحقيقه احقر الخلق لامانا تهم واشراهم بالثمن البخس لعهودهم وديانا تهم فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وقال الشاعر

واذا اخطأ الكتابة حظ ... عدمت تاؤها فصارت كآبه

وقال بعضهم

لا تحسبوا ان حسن الخط ينفعني ولا سماحة كف الحاتم الطائي
وانما انا محتاج لواحدة تنقل نقطة حرف الخاء للطاء

وقال آخر

وما الخط الا الحظ صحف لفظه فان تك ذو حظ فانك ذو خط
فبالخط بين الناس انت مخطأ وبالحظ صوب رأي من شئت او خطي

ومن ملح ما قيل في ذم الكتبة لابن عروس

تعس الزمان لقد اتى بعجائب ومحى رسوم الظرف والآداب
فاتى بكتاب لو انطلقت يدي فيهم رددتهم الى الكتاب

وقوله ايضا

وكاتب يقرأ القرآن في سند من بعد حين واما بعد في حين
لا يعرف الفرق في عمرو ولا عمر جهلا ولا الفرق بين التين والتين

ولبعض اهل العصر

وكاتب كتبه تذكرني الـ ـقرآن حتى اظل في عجب
فاللفظ قالوا قلوبنا غلف والخط تبت يدا ابي لهب

ويقال فلان قد صدأ فهمه وتبلد طبعه وتكدر خاطره
ويقال خط مجمجم ولفظ ملجلج

الباب السابع عشر في مدح الادب

قال بزرجمهر ليت شعري اي شيء ادرك من فاته الادب واي شيء فات من ادرك الادب وقال ابن عائشة القرشي اهل الادب هم الاكثرون وان قلوا ومحل الادب

اين حلوا وقال خالد بن صفوان لابنه يا بنى الادب بهاء الملوك ورياش السوقة والناس بين هاتين فتعلمه تجد حيث تحب وقيل الادب وسيله الى كل فضيله وذريعه الى كل شريعه وقلت فى الكتاب المبهج حلية الادب لا تخفى وحرمته لا تجفى وقال البريدى

ليس الفتى كل الفتى الا الفتى فى ادبه
وبعض اخلاق الفتى اولى به من نسبه

وقال بعض الظاهرية لو تعلم الجاهلون ما الادب لايقنوا انه هو الطرب وقال حكيم لابنه يا بنى عز السلطان يوم لك ويوم عليك وعز المال وشيك ذهابه جدير انقطاعه وانقلابه وعز الحسب الى خمول ودثور وذبول وعز الادب راتب واصب لا يزول بزوال المال ولا يتحول بتحول السلطان ويقال من قعد به حسبه نهض به ادبه وقال ابن المعتز لست تعدم من الاديب كرما من طبعه او تكرما من ادبه وقال ايضا الادب صورة العقل فحسن عقلك كيف شئت

الباب الثامن عشر فى ذم الادب

كان يقال اذا كثر ادب الرجل قل خيره ومن قل خيره كثر ضيره وقال الحمدونى ويروى للخليل بن احمد البصرى

ما ازددت فى ادبى حرفا اسر به الا تزايد حرفا تحته شوم

انّ المقدّم في حذقٍ بصنعتهِ انى توجّه فيها فهو محرومُ

وقال ابو الحسن المشادىّ

اذا مرّ لك ان تحظى وان تلبس فويهيّا
من الخزّ او الوشى يمانيًّا وسوسيّا
وان تصبح ذا عزٍّ فكن علجًا نُبيطيّا
وان سرّك حرمانٌ به تصبح مقليّا
فكن ذا ادبٍ جزلٍ وكن مع ذاك نحويّا

وقال آخر ه

اذا هممت بشأوٍ قلتُ انّي قد ادركته ادركتني حُرفة الأدبِ
لاتغبطنّ اديبًا ماله نشبٌ لاخير في ادبٍ الّا مع النشبِ

وقال بعضهم حرفة الادب حُرفة ويقال للأدب حُرفة لايخلو منها اديب وفي هذا الباب من غير هذا الكتاب لقابوس

ولي همة فوق السّماء محلّها ولكنّ لحظّي في الحضيض نصيبُ

رأى الملك الدّوار سعيًّا فقال له انت ألبي حظًّا وانت اديبُ

الحُرفة بضم الحاء حرمان ونقصان في الرزق والحِرفة بكسر الحاء الصناعة ه

الباب التاسع عشر في مدح الشعر والشعراء

كان يقال الشعر ديوان العرب ومعدن حكمتها وكنز ادبها ويقال الشعر لسان الزمان والشعراء للكلام امراء وقال بعض السّلف الشعر ادنى مروءة السّرى واسرى مروءة الدّنى وقال آخر الشعر جزلٌ من كلام العرب تقام به المجالس وتستنجح به

الحوائج وتشفى به السخائم ويقال المدح مهرة الكرام واعطاء الشعراء من بر الوالدين وقال بعضهم انصف الشعراء فان ظلامتهم تبقى وعقابهم لا يفنى وهم الحاكمون على الحكام وقال آخر الشعر الجيد هو السحر الحلال والعذب الزلال وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا وعنه عليه السلام اصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد

الا كل شئ ما خلا الله باطل قال النبى عليه السلام صدقت ثم قال وكل نعيم لا محالة زائل قال النبى عليه السلام كذبت نعيم الجنة لا يزول وقال بعضهم رب بيت شعر خير من بيت تبر وكان عمر رضى الله عنه لا يعرض له امر الا انشد فيه بيت شعر وكان يقال النثر يتطاير تطاير الشرر والشعر يبقى بقاء النقش فى الحجر وقال آخر الشعر صوب العقول وكلام الفحول وقيل لحمزة بن بيض من اشعر الناس قال من اذا قال اسرع واذا وصف ابدع واذا مدح رفع واذا هجا وضع وقال دعبل فى كتابه الموضوع فى مدح الشعراء انه لا يكذب احد الا اجترأه الناس فقالوا كذاب الا الشاعر فانه يكذب ويستحسن كذبه ويحتمل ذلك له ولا يكون ذلك عيبا عليه ثم لا يلبث ان يقال احسنت وفيه ان الرجل الملك او السوقة اذا اصير ابنه فى الكتاب امر معلمه ان يعلمه القرآن والشعر فيقرنه بالقرآن

ليس ان الشعر لهو ولا كرامة للشعر لكنه من افضل الآداب فيأمر بتعليمه اياه لانه توصل به المجالس وتضرب فيه الامثال وتعرف به محاسن الاخلاق ومساويها فتذم وتحمد وتهجي وتمدح واي شرف ابقى من شرف يبقى بالشعر وفيه ان امرء القيس كان من ابناء الملوك وكان من اهل بيته وبني ابيه اكثر من ثلاثين ملكا فبادوا وباد ذكرهم وبقي ذكره الى العيامة وانما امسك ذكره شعره وقال مؤلف الكتاب واحسن ما مدح به الشعر قول ابي تمام حيث يقول

ولولا خلال سنها الشعر مادرى بناة المعالي كيف تبنى المكارم

واحسن منه

اري الشعر يحيي الجود والباس بالذي تبقيه ارواح له عطرات
وما المجد لولا الشعر الا معاهد وما الناس الا اعظم نخرات

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرتجز وينشد بيت طرفة ولا يقيم وزنه فصل لابي بكر الخوارزمي جامع لمدح الشعراء ماظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم والكذب مذموم ومردود الا فيهم اذا ذموا ثلموا واذا مدحوا سلبوا واذا رضوا رفعوا الوضيع واذا غضبوا وضعوا الرفيع واذا اقروا على انفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد ولم تمتد اليهم بالعقوبة يد غنيهم لا يصادر وفقيرهم لا يستحقر وشيخهم يوقر وشابهم لا يستصغر سهامهم تنفذ في الاعراض وشهاداتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل ولم يشهد بها عدل

اي هلكوا ٥

وسرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع دينار وبلغت الف قنطار
ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم وان صادروا الصديق لم
يستوحش منهم بل ما ظنك بقوم هم صيارفة اخلاق
الرجال وسماسرة النقص والكمال بل ما ظنك بقوم اسمهم
ناطق بالفضل وانم صناعتهم مشتق من العقل بل
ما ظنك بقوم هم امراء الكلام يقصرون طويله
ويطولون قصيره يقصرون ممدوده ويخففون ثقيله
ولولا اقول ما ظنك بقوم يتبعهم الغاوون وفي كل واد
يهيمون ويقولون ما لا يفعلون

الباب العشرون في ذم الشعر والشعراء

كان يقال الشعر رقية الشيطان ولذلك قال جرير
وهو يمدح عمر بن عبد العزيز ويصف ترفعه عن استماع
الشعر

بيت

رايت رقا الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وقيل ليحيى بن خالد لم لا تقول الشعر فقال شيطانه
اخبث من ان اسلطه على عقلي وقال غيره لا خير
في شئ احسنه اكذبه وكان ابو مسلم يقول اياكم
والشعراء فانهم يهجون جليسهم ويطلبون على الكذب
مثوبة وجعلا وقال غيره لا تجالس الشاعر فانه
اذا غضب عليك هجاك واذا رضي عنك كذب عليك

وقد وصفهم الله تعالى ومتبعيهم من رواتهم بالصفة
الخاصة بهم فقال والشعراء يتبعهم الغاوون الآية
وقرنهم بشر صنف من منتحلي الاباطيل وهم الكهنة فقال
وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً
ما تذكرون وما احسن واصدق ما ذم به الشاعر قول
عبد الصمد بن المعذل لابي تمام وقد قصد البصرة وشارفها

انت بين اثنتين تبرز للنا ... س وكلتاهما بوجه مذال
لست تنفك طالباً لوصال ... من حبيب او راغباً في نوال
اي ماء لحر وجهك يبقى ... بين ذل الهوى وذل السؤال

فلما بلغت الابيات لابي تمام قال صدق والله واحسن وثنى
عنانه عن البصرة وحلف لا يدخلها ابداً ولبعضهم

اني ارى الشعراء افنوا دهرهم ... في وصف كل جبيبة وحبيب
وسواهم يحظى بما وصفوا له ... فهم كما القواد في الترغيب
لكن ترى القواد تظفر بالعطا ... وهم بمقت الله والتكذيب

وقال ابو سعيد المخزومي

الكلب والشاعر في حالة ... ليت اني لم اكن شاعرا
اما تراه باسطا كفه ... يستطعم الوارد والصادرا

وقال ابو سعيد الرستمي الاصبهاني

تركت الشعر للشعراء اني ... رايت الشعر من سقط المتاع

قيل ان ظفر بن سعيد كان اديباً فاضلاً لبيباً كتب
على حاشية الكتاب هذين البيتين فاخذته غيرة الادب

فقال كذب قائل هذا الشعر لقد وهم فيما شبّه اذ كان
الكتاب يلقى اليه لقائط الفوائد وهذا يخصّ بانواع الفرائد
وذاك يطعم رحمه وهذا يعطى خشيته وله من الفضائل
ما يقرطباع اللئيم ويهزّ عطف الكريم ويستدلّ بصناعته
على جواهر المعادن ونو قال هذين البيتين لاصاب وانصف

يمدح اقواماً يرجى الغنى ... وانما يحرك فى نحسه
يكذب فى المدح ويعطونه ... وعداً ويقضى الدين من جنسه

الباب الحادى والعشرون فى مدح الكتب والدفاتر

قال الجاحظ الكتاب وعاء ملئ علماً وظرف حشى ظرفاً
واناء شحن مزاحاً وجداً ان شئت كان اعيا من باقل وان
شئت كان ابلغ من سحبان وائل وان شئت ضحكت من
نوادره وان شئت عجبت من غرائبه وان شئت المتك
مضاحكه وان شئت اشجتك مواعظه فالكتاب نعم الظهر
والعمدة ونعم الكنز والعدة ونعم الذخر والعقدة ونعم
النزهة والعشرة ونعم الشغل والحرفة ونعم الانيس ساعة
الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل
ونعم الوزير والنزيل وهو الجليس الذى لا يطريك والصديق
الذى لا يغريك والرفيق الذى لا يملك والمستميح الذى
لا يستزيدك والجار الذى لا يستطيلك والصاحب الذى
لا يريد استخراج ما عندك وهو الذى يطيعك بالليل طاعته بالنهار

ويفيدك في السفر افادته في الحضر لا يعتل بنوم ولا ضجر
ولا يعتريه كلال سهر وهو المعلم الذي اذا افتقرت اليه لم يحقرك
واذا قطعت عنه المادة والمائدة لم يقطع عنك العادة والعائدة
وان هبت ريح اعدائك لم ينقلب عليك وان قل مالك لم يترك
زيارتك ثم قال متى رأيت بستانا يحمل في رُدْن وروضة
تقلب في حجر ينطق عن الاموات ويترجم كلام الاحياء
ومن لك بواعظ مُلْهٍ وبزاجر مُغْرٍ وبناسك فاسق وبساكت
ناطق وبحار بارد وبطبيب اعرابي وبرومي هندي وبفارسي
يوناني وبقديم مولد وبميت ممتع ثم قال ولولا ما رسمت
لنا الاوائل في كتبها وخلدت في عجائب حكمها ودونت من
محاسن سيرها وفننت من بدائع اثرها حتى شاهدنا
ما غاب عنا وفتحنا كل مستغلق علينا فجمعنا الى قليلنا
كثيرهم وادركنا ما لم ندركه الا بهم ثم قال ولولا
الكتب المدونة والاخبار المفننة لبطل اكثر العلم ولغلب
سلطان النسيان سلطان الفهم وقال
مؤلف الكتاب حدثني صديق لي قال قرأت على شيخ كتابا
فيه مآثر غطفان فقال ذهبت المكارم الا من الدفاتر
قال وسمعت الحسن اللؤلؤي يقول عبرت(٣) اربعين عاما
ما قلت ولا بت الا والكتاب موضوع على صدري وقال
المؤلف وكثيرا ما اذكرني اكل الوخية(٤) وانا انظر في كتاب جديد
وقع الي ولا اصبر عنه الى وقت فراغي من الاكل وسمعت

(٣) ان جاوزت

(٤) الوجبة ما ياكله الانسان من الوقت الى الوقت

ابا نصر سهل بن المرزبان يقول كثيرا ما افعل مثل ذلك وكان يقال انفاق الفضة على كتب الآداب يخلف عليك ذهب الالباب وقال الحسن بن طباطبا العلوى فى بعض الكتب الكتب حصون العقلاء اليها يلجؤن وبساتينهم بها يتنزهون وقال

اجعل جليسك دفترا فى نشره للميت من حكم العلوم نشور
وكتاب علم للاديب مؤانس ومؤدب ومبشر ونذير
ومفيد آداب ومؤنس وحشة واذا انفردت فصاحب وسمير

وللمتنبى

اعز مكان فى الدنا سرج سابح وخير جليس فى الزمان كتاب

الباب الثانى والعشرون فى ذم الكتب والدفاتر

يقال الكتاب علم لا يعبر معك الوادى ولا يعمر بك النادى رصد لا يتجاوزه وقيل فى معناه

انى لاكره علما لا يكون معى اذا خلوت به فى جوف حمام

وقيل من تأدب من الكتاب صحف الكلام ومن تطبب منه قتل الانام ومن تنجم منه اخطأ فى الايام ومن تفقه منه غير الاحكام قال الشاعر

ليست علومك ما حوته دفاتر لكن علومك ما حوته صدور

ولمؤدب لى كان فى صباه انشدنى

صاحب الكتب تراه ابدا غير ذى فهم ولكن ذا غلط

كلما فتشته عن علمه ... قال علمي يا خليلي في سفط
في كراريس جياد احكمت ... وبخط اي خط اي خط
فاذا قلت له هات اذا ... حك لحييه جميعا وامتخط

وانشد الجاحظ لمحمد بن بشير

اميل الى كل ما اسمع ... واحفظ من ذاك ما اجمع
ولو استفيد سوى ما جمعت ... لقيل هو العالم المصقع
ولكن نفسي الى كل شئ ... من العلم تسمعه تنزع
فلا انا احفظ ما قد جمعت ... ولا انا من جمعه اشبع
ومن يك في علمه هكذا ... يكن دهره القهقرى يرجع
اذا لم تكن حافظا واعيا ... فجمعك للكتب لا ينفع

ثم كان قاتله الله شديد الصبابة بالعلم كثير الصيانة له وانشد يونس النحوي

استودع العلم قرطاسا فضيعه ... وبئس مستودع العلم القراطيس

وللاستاذ الطبري رسالة في آفات الكتب نظمها بعض تلامذته فقال

عليك بالحفظ دون الجمع في كتب ... فان للكتب آفات تفرقها
الماء يغرقها والنار تحرقها ... واللص يسرقها والفار يخرقها

الباب الثالث والعشرون في مدح التجارة

قد ذكر الله تعالى التجارة في القرآن حيث قال يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة

عن تراض منكم وقال عز اسمه واحل الله البيع وحرم الربا وقال جل ذكره وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقال النبي عليه السلام اطيب ما ياكل الرجل من كسبه والكسب في القرآن التجارة وقال عليه السلام التاجر الصدوق مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وقال عليه السلام تسعة اعشار الرزق في التجارة وكان صلى الله عليه وسلم برهة من الدهر تاجرا وشخصا مسافرا وباع واشترى حاضرا ولاشتهار امره في ذلك قال المشركون مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فاوحى الله تعالى اليه وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق فاخبر جل اسمه ان الانبياء قبله قد كانت لهم تجارات وصناعات وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول ما ميتة بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحلي اضرب في ارض الله وابتغي من فضل الله وكان بعض السلف يقول الاسواق موائد الله في ارضه فمن اتاها اصاب منها وعن مجاهد في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم يعني التجارة في الاسواق وقيل التجارة امارة والارباح توفيقات

الباب الرابع والعشرون في ذم التجارة

في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم لو شئت حلفت لكم ان التاجر فاجر وقال عليه السلام ما اوحى الي ان اجمع واكون من التاجرين ولكن اوحى الي ان اسبح بحمد ربي واكون من الساجدين وكان الضحاك يقول ما من تاجر ليس بفقيه الا اكل من الربا شيئا وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول ويل للتاجر من لا والله وبلى والله وكان علي رضي الله عنه يقول تفقه ثم اتجر فان التاجر فاجر الا من اخذ الحق واعطاه ويروى ان ابليس لما استنظر فانظر قال الهي اين بيتي قال الحمام قال ما مصايدي قال النساء قال اين مجلسي قال السوق وكان ابو الدرداء يقول اياكم ومجالس الاسواق فانها تلغي وتلهي وقال الحسن الاسواق مصلحة للاموال مفسدة للدين وقيل اياكم وجيران الاغنياء وقراء الاسواق وفقهاء الرساتيق وقيل ما اغفلهم ويلهم عما اعد لهم قال الشاعر مصراع اذا ما غضب السوق فالحبة ترضيه

وقال آخر

ما للتجار وللسخاء وانما نبتت لحومهم على القيراط

وقال ابن الرومي

ربِّ أطلق يديَّ في كل شيخ ذي رياءٍ بسمته وسكونه
تاجرٍ فاجرٍ جموعٍ منوعٍ يرهق الناس باقتضاء ديونه

وقال

كلوا مال التجار وسوفوهم الى وقتٍ فانهم لئام
وليس عليكم في ذاك اثمٌ فان جميع ما جمعوا حرام

وقال عكرمة اشهد على كل وزان وكيال بالنار وفي الخبر اياكم والاسواق فان الشيطان قد باض فيها وفرخ وقال بعض الاشراف لصديق له لا تسلم ابنك في شيء من انواع الكسب فانها تورث لا محالة لؤم الطبع وظلمة القلب وقصور الهمة وعجز اللسان وسوء الادب ولبعضهم

قد نزى يا ابن ابي اسحاق في وذلك عهده
وكذا السوق للاخوان سوق المودة

الباب الخامس والعشرون في مدح الضياع

حدث هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال التمسوا الرزق في خبايا الارض وكان عروة يقول ازرع اما لك ارض اما سمعت قول القائل

اقول لعبد الله لما لقيته يسير بأعلى الرقتين مشرقا
تتبع خبايا الارض وادع مليكها لعلك يوما ان تجاب وترزقا

وقال

وقال بعض السلف من اراد ان يتوسع فى الرزق فليقرن مع تجارة له ضيعة الا ترى ان الله تعالى قد قرن بينهما فى كتابه فقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض وقيل لسفيان بن عيينة ما بال الرجل يبيع الضيعة فلا يبارك له فى ثمنها فقال اما سمعتم قوله تعالى فى وصف الارض وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فكيف يبارك فى ثمن يزيل عن ملكه شيئا قد بارك الله فيه وفى الخبر من باع عقارا ولم يصرف ثمنه فى مثله كان كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف وقال اسمعيل بن صبيح لصديق له اتخذ لك ضيعة تعينك اذا جاءتك الاخوان وقيل

اذا انت لم تزرع وابصرت حاصدا ندمت على التفريط فى زمن البذر

وفى الكتاب المبهج فلاح المعيشة فى الفلاحة ولا ضيعة على من له ضيعة وفيه قص جناح المال الطيار باعتقاد العقار وفيه ليس بحازم من باع العقار وابتاع العقار وشرى الماء واشترى الاماء وعن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال ان قامت القيامة وفى يدك فسيلة فاغرسها وروى الجاحظ باسناده عن عبد الله بن سلام لا تدع غرس يدك ولو سمعت ان الدجال يخرج وقيل لعثمان بن عفان رضى الله عنه اتغرس بعد الكبر فقال لان توافينى الساعة وانا من المصلحين خير من ان توافينى وانا من المفسدين

وقيل لابي الدرداء وهو يغرس جوزة اتغرس بعد الكبر وانت شيخ وهي لا تطعم الا بعد عشرين سنة او ثلاثين فقال وما علي ان يكون الاجر لي والهناء لغيري ويقال مر كسرى بشيخ كبير يغرس فسيلة فقال اترى ان تاكل من ثمرها فقال لا ولكني وجدت ارض الله عامرة فاحببت ان لا تخرب على يدي ويقال ان شيخا كان يغرس شجر النارجيل وهي لا تثمر الا بعد اربعين سنة فمر به كسرى وقال له اتعيش الى ان تاكل منها فقال الشيخ غرسوا واكلنا ونغرس فياكلوا فقال كسرى زه زه وامر له باربعة آلاف درهم وكان من عادته ذلك لمن يقول له زه زه فقال الشيخ ايها الملك ان غرس السابقين اثمر بعد اربعين سنة وغرسنا اثمر في يومه فقال كسرى زه وامر له باربعة آلاف مثلها وسئل واحد اي المال افضل فقال عين خرارة في ارض خوارة (اي رخوة) قيل ثم ماذا قال الراسخات في الوحل المطعمات في المحل الملقحات بالفحل يريد بها النخل وقال الشاعر

استغن او مت ولا يغررك ذو نسب ... من ابن عم ولا عم ولا خال
اني مكب على الزوراء اعمرها ... ان الحبيب الى الاخوان ذو مال
كل النداء اذا ناديت يخذلني ... الا ندائي اذا ناديت يا مالي

وقلت في المبهج

اذا ما نقل الدهقا ... ن غلات الرساتيق
فكم من نعمة بين نشا ... ة في سود الجواليق

وقلت

وقلت ايضا

يارب انت وهبتها لى نعمة ... اضحت تعين على الزمان ببرها
ووهبت منها نعمة لا تلهنى ... يارب انت بسكرها عن شكرها

الباب السادس والعشرون فى ذم الضياع

قلت فى المنهج الضيعة ضائعة ما لم تدبرها بقوة ساعد وجد مساعد وفيه الضياع مدارج الغموم وكتب وكلائها سفائج الهموم وقلت فى رقعة الى وكيل اجتبه بها

يا رقعة طويت على حيات ... وعقارب كدرن ماء حياتى
ما انت الا من تباريح الجوى ... وسفائج الاحزان والحسرات
وكأن احرفك الكريهة اعين ... لروافب والسن لوشاة
اوكالضياع رقاع فيمتها اذا ... وافت اتت بحوادث الآفات

وقلت ايضا

قد قلت قولا سديدا ... يروى العطاش بمائه
ان الخراج خراج ... دواؤه فى ادائه

وهو منظوم من قول الصاحب حيث قال

الخراج خراج دواؤه فى ادائه وذكرت الضياع وجلالتها ونوائبها بحضرة ابى العباس احمد بن محمد بن الفرات فانشدنى

هى لمال الاثاث فيها مذلة ... فمن شاء قاساها ومن ذل بابها

وقال ابو زكريا يحيى ب اسمعيل الحربى لابن محمد السلمى

قد كانت الضيعة فيما مضى تعدّ من يملكها ذاهبه
فصار من يملكها يومنا مهجته في حفظها ذاهبه
يستغرق الغلّة في خرجها وتفضل الكلفة والنائبه
فان يقم صاحبها كلّ ذا ينجو والا نتّقوا شاربه

الباب السابع والعشرون في مدح الدور والابنية

كان يقال جنة الرجل داره وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر يا بنيّ دارك قميصك فوسعه كيف شئت وذكر الاحنف الدور فقال لكن اول ما يشترى وآخر ما يباع وقيل لبعض الناس ما السرور فقال دار قوراء وامرأة حسناء وفرس مرتبط بالفناء وينشد

ومن المروءة للفتى ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها واعمل لدار الآخره

وكان يقال دار الرجل عشه وفيها يطيب عيشه وقال الثعلبي في كتابه نتف الظرف الدور للناس كالعش للطير والاوجرة للوحش والجحرة للحشرات ودار الرجل مأوى نفسه وموضع امنه ومسكن قلبه ومجمع اهله ومحرز ملكه ومأنس ضيفه وملتقى صديقه وعدوه فلا شيء اصعب على الناس من خروجهم من ديارهم وقد قرن الله تعالى الخروج منها بالقتل حيث قال ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم

ما فعلوه الا قليل منهم وقال المتوكل لابي العيناء كيف ترى دارنا هذه فقال يا امير المؤمنين رايت الناس يبنون الدور في الدنيا وانت بنيت الدنيا في دارك وقال بعض الاشراف لابنه يا بني حسن اثرك في هذه الدنيا بالبناء الحسن واسمع قول الشاعر

ليس الفتى بالذي لا يستضاء به ولا يكون له في الارض آثار

ولا تنس قول الآخر

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

ومن احسن ما قيل في وصف الدور قول علي بن الجهم

وما زلت اسمع ان الملوك تبني على قدر اخطارها
فلما رايت بناء الامام رايت الخلافة في دارها

وكان جعفر بن سليمان الهاشمي يقول العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد ومن احسن ما سمع في التهنئة بالدور قول ابي القاسم الزعفراني في الصاحب

سرك الله بالبناء الجديد نلت حال الشكور للمستزيد
هذه الدار جنة الخلد في الدنيا فصلها واختها بالخلود

وللمؤلف الكتاب في الاخشيد بجرجانيه

وقصر مليك ترى كل الجمال به واسعد الدهر تبدو من جوانبه
كأنه جنة الفردوس قد نزلت الى خوارزم تعجيلا لصاحبه

الباب الثامن والعشرون في ذمّ الدّور والابنية

فارق النبى صلّى الله عليه وسلّم الدنيا ولم يضع لبنة على لبنة وكان عليه الصّلاة والسّلام يقول اذا اراد الله بعبد سوءًا اجعل ماله فى الطّين والماء وعنه ايضًا عليه الصّلاة والسّلام انه قال اذا اراد الله بعبد شرًّا اهلك ماله فى اللبن والطّين وقال وهب بن منبّه فى الحديث القدسىّ قال الله عزّ وجلّ من استغنى باموال الفقراء افقرته ومن تجبّر على الضعفاء اذللته ومن بنى بقوة الفقراء اعقبت بناءه الخراب وقال وهب ابن الورد كان نوح عليه السّلام اتخذ بيتًا من خصّ فقيل له لو بنيت بناءً فقال هذا لمن يموت كثير وقال ابن مسعود يأتى بعدكم اقوام يرفعون الطّين ويضعون الدّين ويشتهون البراذين ويصلّون الى قبلتكم ويموتون على غير ملّتكم وقيل ليزيد بن المهلّب لم لا تبنى دارًا بالبصرة فقال لانى لا ادخلها الّا اميرًا او اسيرًا فان كنت اميرًا فدار الامارة دارى وان كنت اسيرًا فالسجن مسكنى وقرارى وكان يقال البناء من يوم ابتدائه فى نقصان والغرس من يوم ابتدائه فى زيادة ومرّ بعض الخوارج على دار تبنى فقال من هذا الذى يقيم كفيلا وقيل الدار الضيّقة

العمى الاصغر ومن احسن ما قيل فى التبرم بالعمارة قول بعضهم

الامن لنفسى واحزانها ودار تداعت بحيطانها
اظل نهارى بشمسها شقيا بالقاء بنيانها
اسود وجهى بتبييضها واهدم كيسى بعمرانها

الباب التاسع والعشرون فى مدح الحمام

قال بعض السلف نعم البيت بيت الحمام ينفى الاقذار ويذكر النار وذكر الحمام عند الفضل الرقاشى فقال نعم البيت بيت الحمام يذهب الغشافه ويعقب النظافه ويجشى التخمه ويطيب البشره وقلت فى المبهج الحمام صقيل الاجسام ونظام النظافه ودافع آفة القشافه ولم يمدح الحمام كما مدحه السرى حيث قال

بيت بنته حكماء الورى فهو الى الحكمة منسوب
مجاور النار ولكنه يجاور النار به الطيب
حرهو الروح لاجسامنا والحر للاجسام تعذيب

ولبعضهم وقد دعا صديقا الى الحمام واظنه للسرى ايضا

اسعيد هل لك فى زيارة منزل تثنى عليه جوارح الزوار
بيت ترى الجدران فيه منابعا وترى السماء كثيرة الاقمار

ولبعضهم

وفاتن الناس فى الحمام تحسبه على تثنيه غصنا راق منظره

مدّ للشعرة كالليل اسبله　　على قضيب من البلور يشترد
ياليتني الماء يجري في معاطفه　　اوليت اني في الحمام مستترد

ولآخر في مليح دخل الحمام

وحمام رأيت به غزالاً　　كبدر التم في غصن قويم
فقلت تعجبوا من صنع ربي　　رايت الحور في وسط الجحيم

ولآخر يمدحه

قم بنا قبل غرة الاصباح　　وقيام السقاة بالاقداح
نمتشي الى النعيم الذي فيه　　صلاح الاجسام والارواح
بيت ظرف تجول عينيك فيه　　بين بيض الطلا وبيض القفاح
وتلاقى الجسوم في خلع منه　　رقاق على الجسوم ملاح
فاذا ما صقلت جسمك فيه　　باكف النعيم صقل الصفاح
تتروى من الصبوح وتفتض　　نسيم الرياح قبل الصباح

وللمؤلف في المبهج

وحمام له حر الجحيم　　ولكن شابه برد النعيم
رايت به ثوابًا في عقاب　　وزرت به نعيمًا في جحيم

ولابي طالب المأموني رحمه الله

احق بيت من بيوت الورى　　بصونه قدمًا وايثاره
بيت اذا ما زاره زائر　　قضى به اعظم اوطاره
وهو اذا ما جاء مستنظفا　　مروءة الانسان في داره
يدخله المولى بخز كما　　يدخله العبد باطماره

ولــه

وبيت كأحشاء المحب دخلته ... وما لي ثياب فيه غير إهابي

أرى محرمًا فيه وليس بكعبة ... فما ساغ إلا فيه خلع ثيابي

بماء كدمع الصب في حر قلبه ... إذا آذنت أحبابه بذهاب

توهمت فيه قطعة من جهنم ... ولكنها من غير مس عقاب

يثير ضبابًا بالبخار مجللًا ... بدور زجاج في سماء قباب

الباب الثلاثون في ذم الحمام

قال بعض السلف بئس البيت الحمام يكشف عن العورة ويذهب بالحياء وفي الخبر إن الحمام من بيوت الشياطين ولما سمع الرقاشي الحمام بما تقدم قيل له ذم فقال بئس البيت بيت الحمام يهتك الأستار ويذهب الوقار ويؤلف إلى الأوصاب الأقذار ومن أبلغ ما قيل في ذمه قول ابن المعتز

حمامنا كعجوز ... يشقى به كل وارد

فبيت أول نتن ... وبيت ثاني بارد

وقوله

ما نلت بالحمام حرًّا ولا ... يصلح فيه غير تبريد ماء

وجدت بالصيف به رعدة ... فكيف أرجو عرقًا في الشتاء

ولبعضهم

وحمام دخلناه لأمر ... حكى سقرًا وفيه المجرمون

فيصطرخوا يقولوا أخرجونا ... فإن عدنا فإنا ظالمون

وللصنوبري

حمّامُنا ليس فيه ماءُ ... وبردُه ما له انقضاءُ
ما ينفع القطن فيه شيئاً ... كلا ولا اللبابيد والفراءُ
نرعد في الصيف فيه بردا ... فصيفُ حمامنا شتاءُ
فلم نردْه لدفع داءٍ ... هل يدفع الداءَ وهو داءُ

الباب الحادي والثلاثون في مدح المال

قد مدح الله المال وسمّاه خيراً بقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيراً اى مالاً وبقوله المفتّرين وانه لحبّ الخير لشديد اى المال ويروى عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه كان يقول حبذا المال اصون به عرضي واقرضه ربي فيضاعفه لي يريد قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافا كثيرةً وروى السدّى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عزّ اسمه ويزدكم قوة الى قوّتكم اى مالاً الى مالكم وكان رضي الله عنه يقول قد يشرف الوضيع بالمال ويقال المال يكسب اهله المحبة لا مجد الا بمال ولا حمد الا بفعال وقيل الآمال مشغولة بالاموال وقال الشاعر

كل النداء اذا ناديت يخذلني ... الا ندائي اذا ناديت يا مالي

ولابي العتاهيه

قد بلونا الناس فى احوالهم   فرأيناهم لذى المال تبع

وقال آخر

شيئان لا تحسن الدنيا بغيرهما   المال تصلح منه الحال والولد
زين الحياة هما لو كان غيرهما   كان الكتاب به من ربنا يرد

يعنى قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا وكان يقال اصل السودد والرياسة المال وبه تستجمع اسبابهما وتطرد احوالهما وقد انقاد الناس قديما وحديثا للغنى ولذلك حكى الله تعالى فى امر طالوت عن ملكه عليهم فقال ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال وقلت فى المبهج لا موئل كالمال وفيه القلوب لا استمال بمثل المال والعرض هو العرض وفيه مال الرجل موئله وقوته وقوته وفيه من اصلح ماله فقد حصل نقاء العرض وحصن بقاء العز

الباب الثانى والثلاثون فى ذم المال

قال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة ويقال المال ملول والمال ميال والمال غاد ورائح وطبع المال كطبع الصبى لا يوقف على رضاه وسخطه وقيل المال لا ينفعك مالم يفارقك وقيل قد يكون مال المرء سبب حتفه كما ان الطاوس قد يذبح لحسن ريشه ومن احسن ما قيل فى هذا المعنى

قوله ابن المعتز

المرء ان المال يهلك ربه اذا جم آتيه وسد طريقه
ومن جاور الماء الغزير مجمه وسد طريق الماء فهو غريقه

الباب الثالث والثلاثون في مدح الغنى

قلت في المبهج لو لم يكن في الغنى الا انه من صفات الله لكفى به فضلا فاضلا ومن ابلغ ما قيل فيه اي في مدح الغنى وتفضيله على النسب قول ابن المعتز

اذا كنت ذا ثروة من غنى فانت المسود في العالم
وحسبك من نسب صورة تخبر انك من آدم

وننشد لابي الاسود الدؤلي في جارية بن بدر

وتاه تميم بالغنى ان للغنى لسانا به المرء الهيوبة ينطق

وقال غيره

المرء ان الفقر يهجر بيته وبيت الغنى يهدى له ويزار

وقلت في المبهج الغنى مجل مبجل والفقير مذل مستذل

الباب الرابع والثلاثون في ذم الغنى

قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال عز ذكره انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض

وقال

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون ما جدد والله معصية الا جدد لهم نعمة
ليستدرجهم بها وقال بعض الحكماء الغنى يورث
البطر ويقال غنى النفس افضل من غنى المال

وقال الشاعر

غنى النفس ما عمرت غناء ... وفقر النفس ما عمرت شقاء

وقال محمود بن الوراق

لا تشعرن قلبك حب الغنى ... ان من العصمة ان لا تجد
كم واجد اطلق وجدانه ... عنانه في بعض ما لا يرد
ومدمن للخمر غاد الى ... سماع عود وغناء غرد
لو لم يجد خمرا ولا مسمعا ... برد بالماء غليل الكبد
وكم مريد للفقر عند امرئ ... طأطأ منه الفقر ما قد تصعد

الباب الخامس والثلاثون في مدح الفقر

كان يقال الفقر شعار الصالحين ويقال الفقر
لباس الانبياء وفيه يقول البحتري

فقر كفقر الانبياء وغربة ... وصبابة ليس البلاء بواحد

وكان يقال الفقر مخف والغنى مثقل ويقال
الفقر اخف ظهرا واقل عددا وكان سفيان الثوري
يقول الصبر على الفقر يعدل الجهاد في سبيل الله
ومن احسن ما قيل في مدح الفقر قول ابي العتاهية

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى ... وإن الغنى يخشى عليه من الفقر

وقال محمود الوراق

يا عائب الفقر ألا تنزجر ... عيب الغنى أكثر لو تعتبر

من شرف الفقر ومن فضله ... على الغنى لو صح منك النظر

أنك تدعو الله تبغي الغنى ... ولست تدعو الله أن تفتقر

الباب السادس والثلاثون في ذم الفقر

كان يقال الفقر مجمع العيوب . ويقال الفقر كنز البلاء ويقال الفقر هو الموت الأحمر وقال النبي عليه السلام كاد الفقر أن يكون كفرا وكان سعيد بن عبد العزيز يقول ما ضرب العباد بصوت أوجع من الفقر ومن فصول ابن المعتز لا أدري أيهما أمر موت الغني أم حياة الفقير وقلت في المبهج لا فاقة كالفقر وفيه الفقر في الأذن وقر وفي الكبد عقر وفي القلب نقر وفي الجوف بقر

وينشد لبعضهم

إذا قل مال المرء قل حياؤه ... وضاقت عليه أرضه وسماؤه

وأصبح لا يدري وإن كان حازما ... أقدامه خير له أم وراؤه

وقال صالح بن عبد القدوس

بلوت أمور الناس سبعين حجة ... وجربت صرف الدهر في العسر واليسر

فلم أر بعد الدين خيرا من الغنى ... ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر

وقال ابو احمد اليمامي

غالبت كل شديدة فغلبتها والفقر غالبني فاصبح غالبي
ان ابده افضح وان لم ابده اقتل فقبح وجهه من صاحب

الباب السابع والثلاثون في مدح القناعة

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة هي القناعة وقال بعض الحكماء لابنه يا بني العبد حر اذا قنع والحر عبد اذا طمع وكان يقال انت العزيز ما التحفت بالقناعة وقيل القانع بما قسم الله في حدائق النعيم ويقال اخفض الخفض رضى المرء بحظه وقال بعضهم من لم يقنع بالقليل لم يكتف بالكثير ومن فصول ابن المعتز اعرف الناس بالله من رضى بما قسم له وقال غيره من قنع بماله استراح وراح وقال ابو العتاهيه

ان كان لا يغنيك ما يكفيكا فكل ما في الارض لا يغنيكا

وقال ايضا

قنع النفس بالكفاف والا طلبت منك فوق ما يكفيها

ولغيره

اذا شئت ان تحيى سعيدا فلا تكن على حالة الا رضيت بدونها
ومن طلب العليا من العيش لم يزل حقيرا وفي الدنيا اسير غبونها

وقال غيره

اذا ما شئت ان تحيى حياة حلوة المحيا
فلا تحسد ولا تحقد ولا تأسف على الدنيا

الباب الثامن والثلاثون في ذم القناعة

قال بعض المهالبة من اتخذ القناعة صناعة تلحف بالخمول وفاتته معالي الامور وقال آخر القناعة من اخلاق العجائز والزمن العاجز ويقال البركات حيث الحركات وقال حكيم لابنه يا بني ان القناعة من صغر النفس وقصر الهمة وضعف الغريزة ولؤم النحيزة فلا ترضى لنفسك الا كل غاية وقال الرافعي من قصيدة له

رأت عزماتي وفرط انكماشي وطول التململ فوق الفراش
فقالت اراك اخا همة ستبلغها فترى ذا انتعاش
فهلا قنعت ولا تغترب فقلت القناعة طبع المواشي

وقال رجل لمعروف الكرخي رحمه الله أأتحرك في طلب الرزق ام اجري في طريق القناعة فقال تحرك فان الله قال لمريم وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ولو شاء الله ان ينزله عليها من غير ان تسعى في هز النخلة لفعل وقد نظم هذا المعنى من قال

الم تر ان الله اوحى لمريم وهزي اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء ان تجنيه من غير هزها جنته ولكن كل شئ له سبب

الباب

الباب التاسع والثلاثون في مدح القلة

سمع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول اللهم اجعلني من الاقلين فقال ما هذا الدعاء فقال سمعت الله يقول وقليل ما هم وما آمن معه الا قليل وقليل من عبادي الشكور وقال بعض العلماء ان الكثرة ليست بممدوحة في كتاب الله عز وجل وانما الممدوحون الاقلون لانا سمعنا الله يثني على اهل القلة ويمدحهم ويذم اهل الكثرة ويجهلهم حيث يقول عز من قائل ثم توليتم الا قليلا منكم ويقول فشربوا منه الا قليلا منهم ويقول لاتبعتم الشيطان الا قليلا ويقول جل ذكره حكاية عن ابليس لاحتنكن ذريته الا قليلا ويقول جل جلاله في ذم الكثرة ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا ويقول بل اكثرهم لا يؤمنون ويقول ولكن اكثر الناس لا يشكرون ويقول منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ويقول وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت ويقول واكثرهم لا يعقلون ويقول ولكن اكثرهم يجهلون ويقول ولكن اكثرهم للحق كارهون ويقول وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين وقال الشاعر

تعيرنا انا قليل عدادنا   فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا   عزيز وجار الاكثرين ذليل

وقالت الفلاسفة كل كثير عدو الطبيعة وقالت الاطباء الاقلال مما يضر خير من الاكثار مما ينفع

وقال اسحق الموصلي

هل الى نظرة اليك سبيل   فيروى الظما ويشفى الغليل
ان ما قل منك يكثر عندى   وكثير من الحبيب القليل

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه لا تستحى من اعطاء القليل فكل فوائد الدنيا قليل والحرمان اقل منه   وقال الشاعر

ليس العطاء من الفضول سماحة   حتى تجود وما لديك قليل

الباب الاربعون في ذم القلة

كان يقال الذلة في القلة والشرف في السرف

وكان قيس بن سعد بن عبادة يقول اللهم انك تعلم ان القليل لا يسعنى ولا اسعه فاكثر لى ووسع على

وقال منصور الفقيه

منافسة الغنى فيما يزول   على نقصان همته دليل
ومختار القليل اقل منه   وكل فوائد الدنيا قليل

وقال سرى الموصلى

[illegible]   وقلت قليل اتى مرة قليل

تعجبتُ لما ابتدى بالجميل وما كان يعرف فعل الجميل
وما كان اعطاؤه سُودَدٌ ولكنّه غلطة من بخيل
ويُقال من قلّ ذلّ ومن برّ عزّ وقال
النبيّ عليه السّلام كونوا مع السّواد الاعظم

الباب الحادى والاربعون فى مدح اللسان

كان يقال ما الانسان لولا اللسان الّا صُورة
ممثله اوضالة مهمله اوبهيمة مرسله وقال
بعض الحكماء المرء باصغريه قلبه ولسانه ان نطق
نطق ببيان وان قاتل قاتل بجنان وقال
الجاحظ اللسان اداة يُظهر بها البيان وشاهدٌ
يُعبّر عن الضمير وحاكمٌ يفصل بين الخطاب
وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجه
وواصف تعرف به الاشياء وواعظ ينهى عن القبيح
ومغرٍ ترد به الاخوان ومبشّر ترد به الاحزان
ومعتذر تذهب به الاضغان وملهٍ يونق الاسماع
وزارع يحرث المودّه وحاصل يستأصل العداوه
وشاكر يستوجب المزيد ومونس يسلّ الوحشة
ويقال المرء مخبوء تحت طى لسانه لا تحت
طيلسانه وقال بعض العلماء البلغاء
للسان فضائل معدومة فى الجوارح ودرجته

عالية على درجاتها لما خصه الله به من النطق والبيان وانطقه بالذكر والقرآن وانشد

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم
وكم قد ترى من صامت لك معجب زيادته او نقصه فى التكلم

ومن احسن ما قيل فى اللسن والبراعة قول ابراهيم ابن شار فى ابى مسلم

لسان محمد امضى غرارا وانفذ من ظبا حد الحسام
اذا ارتجل الكلام بدا خليج بغيه يمد بحر الكلام
كلام بل مدام بل نظام من الياقوت بل حب الغمام

وقال آخر

وما المرء الا اصغريه لسانه ومعقوله والجسم خلق مصور
فان نظرة راقتك فاحذر فربما امر مذاق العود والعود اخضر

اعلم ان كمال العالم هو الانسان وكمال الانسان هو اللسان وجماله هو البيان نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه العباس رضى الله عنه فتبسم فقال له مما ضحكت يا رسول الله فقال اعجبنى جمالك يا عم فقال اين موضع الجمال منى فاشار الى لسانه وقال ايضا عليه السلام جمال الرجل فصاحة لسانه

الباب الثانى والاربعون فى ذم اللسان

كان يقال مقتل الرجل بين فكيه وقال بعض البلغاء

الخطاب

اللسان اجرح جوارح الانسان وقال آخر اللسان سبع صغير الجرم كبير الجرم وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول والذى لا اله الا هو ما على الارض شئ احق بطول السجن من اللسان وقال بعض العرب لرجل وهو يعظه فى حفظ اللسان اياك ان يضرب لسانك عنقك وقد قيل

احذر لسانك ايها الانسان ... لا يلدغنك انه ثعبان

كم فى المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الفرسان

وقال محمد بن اليزيدى

حتف الفتى لسانه ... فى جده ولعبه

بين اللهاة مسكنه ... ركب فى مركبه

وقال آخر

جراحات السنان لها التئام ... ولا يلتام ما جرح اللسان

وقال ابن المعتز

ايا رب السنة كالسيوف ... تقطع اعناق اصحابها

وكم دهى المرء من نفسه ... فلا تؤكلن باتيابها

ومن ابلغ ما قيل فى عى اللسان قول بعضهم

بين فكيه لسان ... ينسب العى اليه

فاذا حاول قولا ... عسر القول لديه

وسواء هو فيه ... او حسام فى يديه

الباب الثالث والاربعون في مدح الصمت

من حكم لقمان رحمة الله عليه الصمت حكمة وقليل فاعله وكان يقال الصمت انفع للناس من التكلم انفع للطير لان الطير اذا نبس قبض وحبس وقال بعض السلف الندم على الصمت خير من الندم على القول ومن فصول ابن المعتز من اخافه الكلام اجاره الصمت وقال ايضا الخطأ بالصمت يختم والخطل بمثله لا يكتم

وقال آخر

الصمت يكسب اهله صدق المودة والمحبه
والقول يستدعي لصا حبه المذمة والمسبه
فارغب عن القول ولا يحتاج منك اليه رغبه

وقيل اربع كلمات صدرت عن اربعة ملوك كانما رميت عن قوس واحد قال كسرى لم اندم على ما لم اقل وندمت على ما قلت مرارا وقال قيصر اني على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الصين اذا تكلمت بكلمة ملكتني واذا لم اتكلم بها ملكتها وقال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة ان رفعت ضرته وان لم ترفع ما نفعته ويقال من سكت فسلم

كان كمن تكلم فغنم ويقال من علامات العاقل
حسن سمته وطول صمته وقال بعض الحكماء
اول العلم الصمت والثاني حسن الاستماع والثالث
الحفظ والرابع العمل به والخامس نشره وقيل
من حفظ لسانه نجا من الشر كله نظم

ولو يكون القول في القياس   من فضة بيضاء عند الناس
اذا لكان الصمت من خير الذهب   فاسمع هداك الله نخبة الادب

وقال آخر

والصمت عن القبيح تسمعه   صاحب صدق لكل مصطحب
فآثر الصمت ما استطعت فقد   يؤثر قول الحكيم في الكتب
لو كان بعض الكلام من ورق   لكان جل السكوت من ذهب

وقول آخر

مت بداء الصمت خير   لك من داء الكلام
انما العاقل من   الجم فاه بلجام

وفي كتاب عيون الآداب بيت

كلام زارع الكلام مرفوت   قد انفع الصمات السكوت

وقال ابن مسعود ما شيء احق بطول السجن من
اللسان وقال بعضهم اذا اعجبك الكلام
فاصمت   وقيل شعر

احفظ لسانك ان اللسان   سريع الى المرء في قتله
وهذا اللسان بريد الفؤاد   يدل الرجال على عقله

وقول آخر

ان كان يعجبك السكوت فانه قدكان يعجب قبلك الاخيارا
ولئن ندمت على سكوتي مرة فلقد ندمت على الكلام مرارا
ان السكوت سلامة ولربما زرع الكلام عداوة وضرارا

الباب الرابع والاربعون فى ذم الصمت

قال رجل بين يدى عمر رضى الله عنه الصمت مفتاح السلامة فقال نعم ولكنه قفل الفهم وكان يقال من تكلم فاحسن قدر ان يسكت فيحسن وقال بعض الفلاسفة الصمت نتيجة الموت كما ان المنطق نتيجة الحياة وقال النبى صلى الله عليه وسلم تكلموا تعرفوا ولم يقل اسكتوا تعرفوا وقال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام وعن الملك فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين ولم يقل فلما سكت عنده وقال آخر اخزى الله المساكتة فما اسوء اثرها على اللسان واجلبها للعى والحصر الى الانسان وقال بعض الحكماء انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عبّر عن شئ فهو افضل ويقال اللسان عضو فان مرنته مرن وان تركته حرن

الباب الخامس والاربعون فى مدح الصبر

قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤت الناس خيراً من الصبر والمعافاة وقال ايضاً عليه السلام لم نزل نستزيد للصابرين حتى نزلت انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقال علي عليه السلام عليكم بالصبر فانه لا ايمان لمن لا صبر له وقال ايضاً الصبر ثلاثة صبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر على المعصية شعر

تصبر ولا تورى التضعضع للعدا ولو قطعت في الجسم منك البواتر
سرور الاعادي ان تراك بذلة ولكنها تغتم اذ انت صابر

ولبعضهم

بنى الله للاخيار بيتاً سماؤه هموم واحزان وحيطانه الضر
وادخلهم فيه واغلق بابه وقال لهم مفتاح بابكم الصبر

وكان ينشد

اني وجدت وخير القول اصدقه للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في امر يحاوله فاستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وقال آخر

عليك بالصبر فيما قد منيت به فالصبر يذهب ما في الصدر من حرج
كم ليلة من غموم الدهر مظلمة قد ضاء من بعدها صبح من الفرج

وقال آخر

تصبر اذا ما الـمّتك ملمة واهون بها ما لم تمسك بعار
فعقب قطوب النحس بشر سعادة وبعد ظلام الليل نور نهار

ولبعضهم
وذكرت سهواً انا الصبر اولا
اصابك مكروه ضرر الفاقة
لعل الاله لا تعدم صابرا
فترة اتاك العدد

وفي بعض الاخبار الصبر نصف الايمان
واليقين الايمان كله وقال آخر
اذا المرء لم يأخذ من الصبر حظه تقطع من اسبابه كل مبرم
ويقال اوكد الاسباب للظفر الصبر وقال
بعض العلماء الصبر جنة المؤمن وعزيمة المتوكل وسبب
درك النجح في الحوائج ويقال من وطن نفسه على الصبر
لم يجد للاذى مسا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من استعف بالله عفه ومن استعان به يعنه ولن تجدوا
حظا خيرا من الصبر وقال الشاعر
قرين الصبر يظفر بعد حين بحاجته فيوجد قد قضاها
وقال المهلب يا بني ان غلبتم على الظفر فلا
تغلبوا على الصبر وقال آخر
من يمتطي الصبر يضع رحله بساحة الراحة واليسر
وقال محمود
الصبر امضى سلاح ذي الادب فاقمع بحد سورة الادب
وقال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة
وقال عز اسمه وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا
وقال عز من قائل وبشر الصابرين الآية وكان
الحسن البصري يقول اني لاعجب ممن خف كيف خف بعد
هذه الآية وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا
وقال عمر بن عبد العزيز ما انعم الله على عبد نعمة فنزعها عنه

فصبر الآكل ما اعاصه افضل مما انتزعه عنه شرفاً انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال بعض الحكماء الصبر صبران صبر عما تحب وصبر عما تكره والرجل من جمع بينهما وقلت فى المنهج الصبر انجى بذى الحجج وقال حكيم تابع الصبر متبوع النصر

وقال الشاعر

ما احسن الصبر فى مواطنه والصبر فى كل موطن حسن

وقال ابن الجهم

وعاقبة الصبر الجميل جميلة وافضل اخلاق الرجال التفضل

ويقال الصبر كاسمه وعاقبته العسل

الباب السادس والاربعون فى ذم الصبر

الصبر كاسمه ويقال الصبر تجرع الغصة وانتظار الفرصة وانشد

وانى لادرى ان فى الصبر راحة ولكن انفاقى على الصبر من عمرى

يقولون لى صبراً انجد غبه فقلت لهم ليس التصبر من امرى

وقال البرقعى

من حمد الصبر وحالاته فلست بالحامد للصبر

كم جرعة للصبر جرعتها امر فى الذوق من الصبر

تصبرت حتى قيل لى جاهل لا يعرف الخير من الشر

انى اذا الدهر نبا نبوة اصبر للدهر من الدهر

وقال ابو القاسم بن علاء الاصبهانی

فان قيل لی صبرًا فلا صبر للذی غدا بيد الايام تقتله صبرا

وان قيل لی عذرًا فوالله ما ارى لمن ملك الدنيا اذا لم يجد عذرا

الباب السابع والاربعون فی مدح الحلم

كان يقال الحلم حجاب الآفات وقال حكيم حلم ساعة يرد سبعين آفة وقال بعض السلف الحلم اجل من العقل لان الله تعالى وصف نفسه به وقيل حسب الحليم ان الناس انصاره على الجاهل ومن ملك غضبه احترز من عدوه وقال الحسن رحمة الله عليه ما بعث الله نبيًا الى قوم الا بعثه وامره بالحلم وكان الاحنف يقول ما اضيف شیٔ الى شیٔ احسن من علم الى حلم وكان يقول من لم يصبر على كلمة واحدة سمع كلمات ومن احسن ما قيل فی الحلم قول الشاعر

لن يبلغ المجد اقوام وان كرموا حتى يذلوا وان عزوا لاقوام

ويشتموا فترى الالوان مشرقة لا عفو ذل ولكن عفو احلام

الباب الثامن والاربعون فی ذم الحلم

كان يقال من عرف بالحلم كثرت الجراءة عليه وقال بعض السلف الحلم ذل كله وقال السفاح اذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة وقال الشاعر

ارى الحلم فى بعض المواضع ذلة ... وفى بعضها عز يسود فاعله

وقاتل الاحنف قتالاً شديداً فى بعض المواطن فقيل له اين الحلم يا ابا بحر فقال عند الحياء وكان يقال آفة الحلم الضعف ومن احسن ما قيل فى هذا الباب قول النابغة الجعدى شعرا

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له ... بوادر تحمى صفوه ان يكدرا

ولا خير فى جهل اذا لم يكن له ... اديب اذا ما اورد الامر اصدرا

وقيل وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان وقال محمد بن وهب

لئن كنت محتاجاً الى الحلم اننى ... الى الجهل فى بعض الاحايين احوج

ولى فرس للحلم بالحلم ملجم ... ولى فرس للجهل بالجهل مسرج

فمن رام تقويمى فانى مقوم ... ومن رام تعويجى فانى معوج

واحسن ما سمعت فى هذا الباب ما قيل

اتانى منك ما ليس ... على مكر وهه صبر

فاغضيت على عمد ... وقد يغضى الفتى الحر

وادبتك بالهجر ... فما ادبك الهجر

ولا ردك عما كا ... ن منك الصفح والزجر

فلما اضطرنى المكرو ... ه واشتد بى الامر

تعمدتك بالتكسير حتى راضك النكر

تناولتك من سرى ... بما ليس له قدر

فحركت جناح الذل ... لما مسك الضر

اذا لم يصلح الخير ... لمرء اصلح الشر

قد شذ فى الاصل منه بيت قاله الشيخ الامام البيت الاخير

من قول الحسن وهو انه قيل له ان عندنا رجل اذا قيل له جزاك
الله خيرا يغضب فقال من لا يصلحه الخير اصلحه الشر
ومن قول الاول وفي الشر نجاة حين لا ينجيك احسان

الباب التاسع والاربعون في مدح المشورة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المستشار بالخيار
ان شاء قال وان شاء سكت وقال عليه السلام ايضا
المستشار مؤتمن وقال الحسن البصري ان الله تعالى
امر نبيه عليه السلام بالمشورة لا من حاجة منه الى آرائهم
وانما اراد عز اسمه ان يعلمنا ما في المشورة من الفضيلة
حيث قال وشاورهم في الامر يعني ان الانسان لا يستغني
عن مشورة نصيح له كما ان القوادم من ريش الجناح تستعين
بالخوافي منه قال بشار

اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن بحزم نصيح او نصاحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فريش الخوافي تابع للقوادم

قال الاصمعي قلت لبشار رأيت رجال الرأي يتعجبون
من ابياتك في المشورة فقال اوما علمت ان المشاور بين احدى
الحسنيين صواب يفوز بثمرته او خطأ يشارك في مكروهه
فقلت له انت والله في هذا الكلام اشعر منك في شعرك
وقال الجاحظ المشورة لقاح العقول ورائد الصواب
والمستشير على طرف النجاح واستشارة المرء برأي اخيه من عزم

الامور

الامور وحزم التدبير وقد امر الله تعالى اكمل الخلق لبا
واولاهم بالاصابة عزما فقال لرسوله الكريم عليه السلام
في كتابه الكريم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله
وقال حكيم اذا شاورت العاقل صار عقله لك
ويقال اول الحزم المشوره وقال العتابي المشورة
عين الهدايه وقد خاطر من استغنى برأيه وقال
ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب لغيرك وقال
ايضا من اكثر المشوره لم يعدم عند الصواب مادحا وعند
الخطا عاذرا وقلت في المبهج ثمرة رأى الاديب المشير
احلى من رأى المشور ولبعضهم لا تشاور الجائع حتى يشبع
ولا الغضبان حتى يهجع ولا الاسير حتى يطلق ولا المضل
حتى يجد ولا الراغب حتى ينجح وقال بعض الحكماء
ما خاب من استشار ولا ندم من استخار وقال صالح بن عبد القدوس

ومن الرجال من استوت احلامهم ... من يستشار اذا استشير فيطرق
حتى يجول بكل واد قلبه ... فيرى الصواب بما يشير فينطق
ان الاديب اذا تفكر لم يكد ... يخفى عليه من الامور الاوفق
فهناك يشعب ما تفاقم صدعه ... وبذاك ترتق كل امر مفتق
واذا استشرت ذوي العقول لخيرهم ... عند المشورة من يحن ويشفق

وكان يقال نصف عقلك مع اخيك فاستشره وكان
يقال ما استنبط الصواب بمثل المشوره ولا حصنت النعم
بمثل المساواه ولا اكتسبت البغضة بمثل الكبر وكان يقال

لا يستقيم الملك بالشركاء ولا يستقيم الرأى بالتفرد به وقيل شاور قبل ان تقدم وقال عبد الملك بن مروان لأن اخطئ وقد استشرت احب الى من ان اصيب وقد استبد برأيى من غير مشورة وقال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه لا تقطعن امرا حتى تشاور مرشدا فانك اذا فعلت ذلك لم تحزن عليه وقيل للنبى عليه السلام ما الحزم قال ان تستشير ذا الرأى وتطيع امره وقال عليه السلام لم يهلك امرؤ عن مشورة وقيل مكتوب فى التوراة من ملك استأثر ومن لم يستشر يندم والحاجة الموت الاكبر والهم نصف الهرم وقال الشاعر

نصحت لذى جهل وقلت لعله بنصحى له من نومه يتنبه
فما نجعت فيه النصائح مجعا وهل يبرئ الكحال من هو اكمه

الباب الخمسون فى ذم المشورة

كان عبد الملك بن صالح يقول ما استشرت احدا قط الا تكبر على وتصاغرت له ودخلته العزة ودخلتنى الذلة فاياك والمشاورة وان ضاقت بك المذاهب واشتبهت عليك المسارب واداك فرط الاستبداد الى الخطا والفساد ٭ وكان عبد الله بن طاهر يقول ما حك ظهرى مثل ظفرى ولأن اخطئ مع الاستبداد الف خطأ احب الى من ان ارى بعين النقص عند المستشار

الباب الحادى والخمسون فى مدح التأنى

قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآية يعنى فتثبتوا وهو ابين وقال حكيم ينبغى للوالى ان يتثبت فيما نهى اليه ولا يتعجل ويتأنى ويتمهل حتى ينظر ويستكشف الحال ويأخذ بأدب سليمان عليه السلام حيث قال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين وفى الخبر التأنى من الله والعجلة من الشيطان ويقال الاناة حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقيل التأنى مع الخيبة خير من العجلة مع النجاح وقال آخر التأنى فى الامور اول الحزم والتسرع الى الامور نهاية الجهل وقال النابغة

الرفق يمن والاناة سعادة　　فتأن فى ارتلاق نجاحا

وقال القطامى

قد يدرك المتأنى بعض حاجته　　وقد يكون من المستعجل الزلل

ويقال اتئد تصب او تكد يعنى ارفق لتدرك الصواب او تقرب ان تدركه قال النبى عليه السلام من تأنى اصاب او كاد ومن تعجل اخطأ او كاد

الباب الثانى والخمسون فى ذم التأنى

كان يقال اياكم والتأنى فى الامور فان الفرص تمر مر السحاب وقال ابن عائشة القرشى الفلك اجدر

من ان يحتمل معه التأنى والتثبت وخير الخير اعجله ويقال الآفات فى التأخيرات وقيل لابى العينا لا تعجل فان العجلة من الشيطان فقال لو كانت العجلة من الشيطان لما قال كليم الله عليه السلام وعجلت اليك رب لترضى وقال القطامى بعد قوله قد يدرك المتأنى البيت

وربما فات قوما بعض حظهم من التأنى وكان الحزم لو عجلوا

واحسن منه قول ابن الرومى

عيب الاناة وان كانت مباركة ان لا خلود وان ليس الفتى الحجر

وقال ابن المعتز

وفرصة امكنت فى العدا فلا تبد فعلك الا بها
فان لم تلج بابها مسرعا اتاك عدوك من بابها
واياك من ندم بعدها وتأميل اخرى وانى بها

وقال محمد بن بشير

كم من مضيع فرصة قد امكنت لغد وليس غد له بمواتي
حتى اذا فاتت وفات طلابها ذهبت عليها نفسه حسرات

الباب الثالث والخمسون فى مدح الوحدة والعزلة

كان يقال الوحدة خير من جليس السوء ويقال العزلة من الناس توفى العرض وتبقى الجلالة وتستر الفاقة وترفع مؤنة المكافأة فى الحقوق الواجبة وقال الشاعر

كن لقعر البيت جلسا وارض بالوحدة انسا

لست بالواجد خلا ... او ترد اليوم امسا

وانشدنى ميمون بن سهل الواسطى قال انشدنى القاضى ابى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى لنفسه

ما تطعمت لذة العيش حتى ... صرت فى وحدتى لكتبى جليسا

انما الذل فى مداخلة النا ... س فدعها وكن كريما رئيسا

ليس عندى شئ اجل من العلم فلا ابتغى سواه انيسا

وقال مكحول ان كان الفضل فى الجماعة فان السلامة فى الوحدة والعزلة ومن احسن ما قيل فى هذا الباب قول منصور بن اسمعيل المصرى

الناس بحر عميق ... والبعد عنهم سفينه

وقد نصحتك فانظر ... لنفسك المسكينه

ولبعضهم

الناس داء دفين ... لا تركنن اليهم

فيهم خداع ومكر ... لو اطلعت عليهم

وانشدنى البستى لابى سليمان الخطابى

قد اولع الناس بالتلاقى ... والمرء صب الى مناه

وانما منهم صديقى ... من لا يرانى ولا اراه

وله ايضا

اذا خلوت صفا ذهنى وعارضنى ... خواطر كطراز البرق فى الظلم

فان توالى صياح الناعقين على ... اذنى عرتنى منه حكلة العجم

ومن احسن ما قيل فى الانفراد قول ابى حيان

إن أمس منفرداً فالليث منفرد   والبدر منفرد والسيف منفرد

وقلت في المبهج من لزم الخلوة بربه حصل في العيش الأمنع والحمى الأمنع وقال ابو العتاهيه

وحدة الانسان خير   من جليس السوء عنده
وجليس الخير خير   من جلوس المرء وحده

الباب الرابع والخمسون في ذم الوحدة

قيل الوحدة وحشه والوحدة قبر الحي وفي الخبر الشيطان مع الواحد وهو عن الاثنين ابعد ويد الله مع الجماعه ولحاتم الطائي وهو مما يتمثل به

اذا لزم الناس البيوت رأيتهم   عماة عن الاخبار خرق المكاسب

ويقال اياكم والعزلة فان في لقاء الناس معتبراً نافعاً ومتعظاً واسعاً ومجالسة الناس تجلو البصر وتطرد الفكر ويقال الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة وقال بعض الحكماء اياكم والخلوات فانها تفسد العقول وتحل المعقول وتعقد المحلول وقال آخر البيت رمس ما لزمته والهم زمانة ما سلطته ولابي تمام في معناه بعينه

وركد الهم كالزمانة والبيـ   ـت اذا الزمته رمس

الباب الخامس والخمسون في مدح الشجاعة

في الخبر ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية او عقرب وكتب انوشروان الى وكلائه عليكم باهل الشجاعة والسخاء فانهم اهل حسن الظن بالله تعالى وكان يقال الشجاع موقى والجبان ملقى ويقال الشجاع محبب حتى الى عدوه والجبان مبغض حتى الى امه وقال بعض الحكماء قوة النفس ابلغ من قوة الجسد وقال الشاعر

يفر الجبان من ابيه وامه ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه

ولما قال ابو الطيب المتنبي

يرى الجبناء ان العجز عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة في المرء تغني ولا مثل الشجاعة في الحكيم

قيل له انى يكون الشجاع حكيما وهما على طرفي نقيض قال هذا علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكان يقال خيفة العاقبة تورث جبنا والشجاعة حسن الظن وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه يقول ما ليلة اقر لعيني من ليلة يهدى الي فيها عروس الا ليلة اعدو فيها لقتال العدو وكان حصين بن المنذر صاحب راية امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يقول ابتذال الانفس في الحرب ابقى لها اذ الآخر في الآجال وقيل لعباد بن الحصين في اي جنة تحب ان تلقى عدوك قال في اجل مستأخر وكان يقال ان بني هاشم شجعاء قريش

واستحياء قريش اجمع اهل الاسلام على انه لم يكن فارس في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشجع من علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل
لا يصدق في القتال الا ثلاثة مستنصر في دين او غيور على النساء او ممتهن
من ذل

الباب السادس والخمسون في ذم الشجاعة

قيل انه روي عن شيخ كبير وقد تأخر عن الصف في الحرب
واستعد للهرب فقيل له نراك غير شجاع فقال لو كنت شجاعا
ما بلغت هذا السن وقيل ما في الدنيا شجاع الا متهور ولا جبان
الا متحرز وقال بعض الجبناء من اراد السلامة فليدع
الشجاعة وقال آخر يقال فر اخزاه الله خير من قتل رحمه الله
هو كقولهم رهبوت خير من رحموت ومن ذلك ما حكى ان الخليفة
المنصور ظهر عليه في بعض الغزو علج فقال من برز لهذا وكفاني
مؤنته اعطيته عشرة آلاف فطمع في ذلك ابو دلامة فبرز اليه
فلما رأى منه ما لا طاقة له به ادهمه وهرب فقيل هرب ابو دلامة
من خصمه فبلغ الخليفة فقال هرب قاتله الله فقال ابو دلامة
قاتله الله احسن عندي من مات رحمه الله ويقال الفرار
في وقته ظفر وقال محمد بن ابي حمزة العقيلي مولى الانصار

ظلت تشجعني هند وقد علمت ... ان الشجاعة مقرون بها العطب
يا هند لا والذي حج الحجيج له ... لا يشتهي الموت عندي من له ادب

وهذا احسن ما قيل في مدح الجبن وقال بعضهم
الشجاعة تغرير والتغرير مفتاح البؤس

الباب السابع والخمسون فى مدح الجود

فى الخبر ان الله تبارك وتعالى يحب الجواد لانه جواد كريم
وفيه ايضا الجود من اخلاق اهل الجنة ويقال الجود غاية الزهد
والزهد غاية الجود وقال غيره الجود ان تكون بمالك متبرعا
وعن مال غيرك متورعا وقال على بن عبد الله الناس فى الدنيا
الاسخياء وفى الآخرة الاتقياء وكان خالد بن عبد الله القسرى
يقول تنافسوا فى المغانم وسارعوا الى المكارم واكتسبوا بالجود
حمدا ولا تكتسبوا بالمال ذما ولا تعدوا بمعروف فلم تعجلوه واعلموا
ان حوائج الناس نعمة من الله عليكم فلا تملوها فتعود نقما وقال الشاعر

لا تزهدن فى اصطناع العرف تفعله ... ان الذى يحرم المعروف محروم

آخر من غير الكتاب الاصلى

ستلقى الذى قدمت للنفس محضرا ... فانت بما تاتى من الخير اسعد

ولبعضهم

وكم قد رأينا من فروع كثيرة ... تموت اذا لم تحيهن اصوله
ولم ار كالمعروف اما مذاقه ... فحلو واما وجهه فجميل

وقال طلحة بن عبد الله انا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء ولكنا
نصبر وقال العتابى من منع الحمد ماله ورثه من لا يحمد عليه
وكان يقال رب فاجر فى دينه اخرق فى معيشته دخل الجنة بسماحته
وقال العتابى ثواب الجود ثلاثة خلف ومحبة ومكافاة
وثواب البخل مثلها تلف ومذمة وحرمان وكتب الحسن بن على الى اخيه

رضى الله عنهم يعتب عليه فى اعطاء الشعراء فاجابه
خير المال ما وقى به العرض وقال غيره الجود اشرف
الاخلاق وانفس الاعلاق وقال ابن المعتز الجود
حارس النفس من الذم وقال آخر الاسخياء يعبدهم
المال والبخلاء يعبدونه وقال بعض السلف
لو كان شئ يشبه الربوبية لقلت الجود ويقال من
جاد ساد ومن بخل رذل وقال عمر رضى الله عنه
السيد الجواد حين يسأل وقال ابو نواس

انت للمال اذا امسكته ... فاذا انفقته فالمال لك

ولبعضهم

يا غافلا عن حركات الفلك ... نبهك الله فما اغفلك
مالك للغير اذا صنته ... وكل ما انفقته فهو لك

ولسيدنا عمر بن عبد العزيز لما لاموه على الكرم

مالى على حرام ان بخلت به ... وصاحب البخل بين الناس مذموم
مالى اشح بمال لست املكه ... والمال بعدى اذا ما مت مقسوم
لا بارك الله فى مال اخلفه ... للوارثين وعرضى فيه مشتوم

ولبعضهم

مات الكرام وولوا وانقضوا ومضوا ... ومات فى اثرهم تلك الكرامات
وخلفونى فى قوم ذوى سفه ... لو عاينوا طيف ضيف فى الكرى ماتوا

وفى كتاب عيون الآداب روى عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال اشد الاعمال ثلاثة انصاف الناس من نفسك

ومواساة الاخ فی مالك وذكر الله علی كل حال وقال بعض العلماء من ايقن بالخلف جاد بالعطية أتی النبی صلی الله عليه وسلم باسارى فامر بقتلهم وافرد رجلاً منهم فقال علی بن ابی طالب رضی الله عنه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا افرد من بينهم فقال نزل علی جبريل عليه السلام فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله شكر له سخاء فيه وقال بعض الانبياء لابليس من احب الناس اليك قال عابد بخيل قال فمن ابغض الناس اليك فقال فاسق سخی قال كيف ذلك قال لانی لا ارجو ان يقبل الله عبادته لبخله ولا آمن لمن يطلع الله علی العبد الفاسق فيری بعض سخائه فينجيه به ويرحمه

الباب الثامن والخمسون فی ذم الجود

قال بعض الحكماء من جاد بماله جاد بنفسه لانه جاد بما لا قوام له الا به وكان ابو الاسود الدؤلی يقول لا تجاودوا الله فانه اجود وامجد ولو شاء ان يوسع علی خلقه حتی لا يكون فيهم محتاج لفعل وكان يقول لو جدنا علی المساكين باعطائهم ما يسألونا لكنا اسوأ حالاً منهم وكان علی بن الجهم يقول من وهب المال فی عمله فهو احمق ومن وهبه بعد العزل فهو مجنون ومن وهبه وهو جوائز سلطانه او ميراث لم يتعب فيه فهو مخذول

ومن رهبه من كتبه وما استفاد بحيلته فهو المطبوع على البذل وقال محمد بن الجهم اتركوا الجود للملوك فانه لا يليق الا بهم ولا يصلح الا لهم ومن عارضهم في ذلك فافتقر وافتضح فلا يلومن الا نفسه وكان ابن المقفع يقول ان مالك لا يعم الناس فاخصص به ذوى الحق

ومن احسن ما قيل في تحسين البخل قول ابن المعتز

يا رب جود جر فقر امرئ ... فقام للناس مقام الذليل
فاشدد عرى مالك واستبقه ... فالبخل خير من سؤال البخيل

وقول ابى الفتح البستى

اشفق على الدرهم والعين ... تسلم من الغيبة والدين
فقوة العين بانسانها ... وقوة الانسان بالعين

وقول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر شعر

في كل شئ سرف ... يكره حتى في الكرم
ولربما النطق لا ... افضل من الف نعم

وكان الكندى يقول قول لا يدفع البلا وقول نعم يزيل النعم

الباب التاسع والخمسون في مدح البخل

من امثال العرب الشحيح اعذر من الظالم ومن امثال العجم منع الجميع ارضى للجميع وقال بعضهم عجبت لمن سمى القصد بخلا وسمى السرف جودا وقال آخر حفظ ما في يدك خير من طلب الفضل من ايدى الناس

وقال صالح بن عبد القدوس

لا تجد بالعطاء في غير حق ليس في منع غير ذي الحق بخل

وقال آخر اذا قبح السؤال حسن المنع وقال المتلمس

لحفظ المال خير من بغاه وسعي في البلاد بغير زاد

واصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد

ومما يليق بهذا الباب قول الله تعالى لنبيه من لطف العتاب

ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين

الباب الستون في ذم البخل

قال الشعبي ما افلح بخيل قط اما سمعتم قول الله تعالى

ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال

المأمون لمحمد بن عبد الله المهلبي بلغني انك متلاف فقال

يا امير المؤمنين منع الجود سوء ظن بالمعبود وهو تعالى يقول

وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويقال

البخيل ابدا ذليل ويقال لا مروءة لبخيل ويقال شر

اخلاق الرجال البخل والجبن وهما من اخلاق النساء

وقال الجاحظ البخل والجبن غريزة واحدة يجمعها

سوء الظن بالله وقال عنترة البخل يهدم مباني الكرم

وقال ابن المعتز بشر مال البخيل بحادث او وارث

وقال ايضا ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه

وقال الشاعر

وغيظ البخيل على من يجود · لاعجب عندى من بخله

ومن امثال العرب هو يحسد ان يفضل ويزهد ان يفضل

ومن قولهم هو يمنع دره ودر غيره ويحسد ان يعطى

ويزهد ان يعطى وقال بعض الشعراء

ليس البخيل باخلا بخيره · لكنّ من منّ بخير غيره

وقال الشاعر

لا يسود امرؤ بخيل ولو · مس بيافوخه عنان السما

وقال بعض السلف لو لم ينطق القرآن فى ذم البخل

الا بقوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله

هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة

لكفى وهو ابلغ البلاغ فى تهجينه وانهى النهى عن ايثاره

وقال الله تعالى فيمن يبخل ويأمر بالبخل الذين يبخلون

ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله

قال ابن مسعود سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة

قال يطوق بثعبان فينقر رأسه ثم ينطوى فى عنقه

فيقول انا مالك الذى بخلت بى وقال بعضهم

قد ذم الله من يمنع خيره ويأمر بالبخل غيره فاياك ان تكون هو

الباب الحادى والستون فى مدح الحقد

قال يحيى بن خالد البرمكى لعبد الملك بن صالح الهاشمى

فى كلام جرى بينهما انت حقود فقال ان كنت تريد بقاء الخير

والشر عندى فانا كذلك ويقال انه قال له انا حر آ
بجمع الخير والشر فقال يحيى هذا والله جبل قريش وما رايت
احدًا يمدح الحقد ويحسنه غيره بمثل هذا وقد اخذ معناه
ابن الرومى وزاد فيه وحسنه فقال

وما الحقد الا توءم الشكر للفتى وبعض السجايا ينتسبن الى بعض
اذا الارض ادّت ريع ما انت زارع من البذر فيها فهى ناهيك من ارض

الباب الثانى والستون فى ذم الحقد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الذنوب عند الله
الحسد والحاسد مضاد لنعمة الله خارج عن امر الله تارك
لعهد الله وقال الله عز وجل ومن شر حاسد اذا حسد
وامر رسول الله ان يستعيذ به من شره وقال معاوية
رحمة الله عليه كل انسان اقدر ان ارضيه الا حاسد نعمة فانه
لا يرضيه الا زوالها وقال عمر بن عبد العزيز ما رأيت
ظالمًا اشبه بمظلوم من حاسد غم دائم ونفس متتابع

وقال الشاعر

ان الحسود الظلوم فى كرب يخاله من يراه مظلوما
من نفس دائم على نفس يظهر منه ما كان مكتوما

قال الشيخ الامام انشدنى ابو منصور القوشنجى
لنفسه فى هذا المعنى

قالوا يفود سعيد جيشًا لمسمر ويسود

وكيف ذاك وانى ... وهو الحقود الحسود
ولا يسود حسود ... ولا يقود حقود

وكان يقال الحقد داء دوى ويقال من كثر حقده دوى قلبه ويقال الحقد مفتاح كل شر ويقال حل عقد الحقد ينتظم لك عقد الود ويقال الحقود والحسود لا يسودان وقال آخر

لما عفوت ولم احقد على احد ... ارحت نفسى من غم العداوات

ويقال لا يوجد العجول محمودا ولا الغضوب مسرورا ولا الحر حريصا ولا الكريم حسودا ولا الشره غنيا ولا الملول ذا اخوان وقال بعض الحكماء وجدت اول الاشياء منفعة واضرها فى العاقبة الحاجة ووجدت انكر العيش عيش الحسود وقال الشاعر

لا يحزننك فقر ان عراك ولا ... تتبع اخاك فى مال له حسدا
فانه فى رخاء فى معيشته ... وانت تلقى بذاك الهم والنكدا

وقال آخر

اذا ما المرء كان لنا حسودا ... فانى لذاك من باغ حسود

الباب الثالث والستون فى مدح الحياء

مما ادرك الناس من كلام النبوة الحياء شعبة من الايمان وفيه ايضا الحياء خير كله فاذا لم تستح فافعل ما شئت وقال الشاعر

اذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستحى فافعل ما تشاءُ
فلا واببك ما فى العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياءُ

وفى الخبر ان الله يحب الحى المتعفف ويبغض الوقح الملحف وقال الحكيم الحياء سبب كل جميل ويقال من كساه الحياء ثوبه ستر عن العيون عيبه ويقال الحياء والايمان مقرونان فى قرن فاذا ارتفع احدهما ارتفع الآخر وقيل لبنت ارسطاليس ما احسن ما فى المرأة قالت الحمرة التى تعلو وجهها من الحياء وقال بعضهم اكثر الناس حياء من كان الذم اشد عليه من الفقر

الباب الرابع والستون فى ذم الحياء

كان يقال الحياء يمنع الرزق وفى امثال العامة من استحيا من ابنة عمه لم يولد له فى الآخرة وقال على رضى الله عنه قرنت الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان وقال بعض المجربين استعينوا على قضاء حوائجكم بالوقاحة والابرام وقال غيره هذا زمان نكد عسير ليس الوقح المبرم ينجح فيه فكيف الحى المخفف ويروى هذا زمان نكد لا ينجح فيه الوقح المتكفف فكيف الحى المتعفف

وقال الشاعر

ليس للحاجات الا من له وجه وقاح
ولسان ذو فضول وغدو ورواح

ومن غير الاصل ما املاه الشيخ الامام المقدسي من مسموعاته الى آخر الباب وقال ابو القاسم الحريري

سألت زماني وهو بالجهل عالم وبالسخف محتف وبالنقص مختص
فقلت له كيف الطريق الى الغنى فقال طريقان الوقاحة والنقص

ومما سمع منه ايضا قال الوقاحة كالقداحة بها يستنفر لهب ويشتعل حطب

الباب الخامس والستون في مدح الاخوان والاصحاب

في الخبر المؤ كثير باخيه ويقال الرجل بلا اخوان كالشمال بلا يمين ويقال من اتخذ اخوانا كانوا له اعوانا وقيل اعجز الناس من فرط في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وقال المغيرة بن شعبة التارك للاخوان متروك وقال شبيب بن شيبة عليك بالاخوان فانهم زينة في الرخاء وعدة عند البلاء وقال الشاعر

تكثر من الاخوان ما استطعت انهم عماد اذا استنجدتهم وظهير
وما بكثير الف خل وصاحب وان عدوا واحدا لكثير

وقال اسماعيل بن صبيح الود اعطف من الرحم وقال العتبي لقاء الاخوان نزهة القلوب وقال ابن عائشة القرشي مجالسة الاخوان مسلاة للاحزان وقال سعيد ابن مسلم ان في لقاء الاخوان لغنما وان قل وقال سليمان ابن وهب غزل المودة ارق من غزل الصبابة والنفس بالصديق

آنس منها بالعشيق وقال يونس النحوى يستحسن
الصبر عن كل احد الا عن الصديق وقال محمد بن يوسف
من كثر من اصدقائه ركب اعناق اعدائه وقال القطامي
واذا تصبك من الحوادث محنة فالجأ بها نحو الصديق الاوثق
وقال الكندى الصديق انسان هو انت الا انه غيرك
وقال المأمون الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء
وطبقة كالدواء وطبقة كالداء فالغذاء لا يستغنى عنه ابداً
والدواء يحتاج اليه احياناً والداء لا يحتاج اليه بحال
وقال ابن المغيرة اذا قدمت المودة تشبهت بالقرابة
وقال الشاعر

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ولكن اخوان الثقات الذخائر

وقال ابو تمام

ذو الود منى وذو القربى بمنزلة واخوتى اسوة عندى واخوانى
عصابة جاورت آدابهم ادبى فهم وان فرقوا فى الارض جيرانى
ارواحنا فى مكان واحد وغدت ابداننا بشآم او خراسان

وقلت فى المبهج الصديق الصدوق ثانى النفس وثالث العينين
ومنه الصديق الصدوق كالشقيق الشفوق ومنه الصديق
عمدة الصديق وعدته ونصرته وعقدته وربيعه وزهرته
ومشتريه وزهرته ومنه قربة الوداد اقرب من لحمة الولاد
ومنه لقاء الخليل شفاء الغليل ومنه ليس للصديق اذا حضر
عديل ولا عنه اذا غاب بديل ومنه مثل الصديقين كاليد

تستعين باليد والعين بالعين ومنه لقاء الصديق روح الحياة وفراقه سم الممات ومنه لا تساغ مرارة الاوقات الا بحلاوة الاخوان الثقات ومنه استروح من غمة الزمان بمناسمة الخلان ومنه الحاجة الى الاخ المعين كالحاجة الى الماء المعين ولبعضهم في معنى هذا الباب

ما ضاع من كان له صاحب يقدر ان يصلح من شانه
فانما الدنيا بسكانها وانما المرء باخوانه

الباب السادس والستون في ذم الاخوان والاصحاب

كان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول من كثر اخوانه كثر غرماؤه يعني في قضاء الحقوق وقال عمر بن مسعدة العبودية عبودية الاخاء لا عبودية الرق وقال ابراهيم ابن العباس مثل الاخوان كالنار قليلها متاع وكثيرها بوار وقال الكندي لابنه يا بني الاصدقاء هم الاعداء لانك اذا احتجت اليهم منعوك واذا احتاجوا اليك ثلبوك وسلبوك وكان بعضهم يقول في دعائه اللهم احرسني من اصدقائي فاذا قيل له في ذلك قال اقدر على الاحتراس من اعدائي ولا اقدر على الاحتراس من اصدقائي وقال ابن المعتز اصدقاء السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضا وقال ايضا انما تطيب الدنيا بمساعدة الاخوان وينتفع بهم في كافة الاحوال ولا تفعل الصداقة الدمار وما رجوه منها

اذا كانت تنقطع في الآخرة ولا تتصل بما احب في الدنيا

وقال ابو العاهيه

انت ما استغنيت عن صاحبك الدهر اخوه
فاذا احتجت اليه ساعة مجك فوه

وقال ابراهيم بن العباس

نعم الزمان زماني الشان في الاخوان
فيمن زماني لما رأى الزمان رماني
لو قيل لي خذ اماناً من اعظم الحدثان
لما طلبت اماناً الا من الاخوان

وقال ابن الرومي

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب

وللامام الشافعي رضي الله عنه

صديقك من يعادي من تعادي بطول الدهر ما سجع الحمام
ويوفي الدين عنك بغير مطل ولم يمنن به ابداً دوام
فان صافى صديقك من تعادي ويفرح حين ترشقك السهام
فذاك هو العدو بغير شك تجنبه فصحبته حرام
فانا قد سمعنا بيت شعر شبيه الدر زينه النظام
اذا وافى صديقك من تعادي فقد عاداك وانفصل الكلام

ولبعضهم

وانت اخي ما لم تكن لي حاجة فان عرضت ايقنت ان لا اخا ليا

وقال ابن المعتز

وافردني عن الاخوان علمي ... بهم فبقيت مهجور النواحي
اذا ما قلّ وفري قلّ مدحي ... فان اثريت عادوا في امتداحي
فكم ذمّ لهم في جنب مدح ... وجدّ بين اثناء المزاح

وقال آخر

أخ من شئت ثم رم منه شيئاً ... تلق من دون ما اردت الثريّا

وعن المتنبّي

صديقك انت لا من قلت خلّي ... وان كثر التجمّل والكلام

ومن غير الكتاب

احذر عدوّك مرّةً ... واحذر صديقك الف مرّه
فلربّما انقلب الصّديق ... فكان اخبر بالمضرّه

وقال آخر

تحذّر من صديقك كلّ يوم ... وبالامثال لا تركن اليه
سلمت من العدوّ فما دهاني ... سوى من كان معتمدي عليه

وقال بعض الحكماء لا ينفع العلاج في اربعة العداوة اذا خالطها الحسد والمرض اذا خالطه الهرم والفقر اذا خالطه الكسل والشحّ اذا خالطه الكبر ونظمت ذلك فقلت

ليس العلاج بنافع في اربع ... ووجودها في المرء من احدى الكبر
الضّعف مع هرم تراه مخالطا ... والشحّ ان وافى على زمن الكبر
وكذا العداوة من حسود غادر ... والفقر في كسل وقيت من الضرر

وقال آخر

الا انّ اخوانى الذين عهدتهم ... افاعى رمال ما تقصّر فى لسعى
ظننتُ بهم خيرًا فلما بلوتهم ... حللتُ بوادٍ منهمُ غير ذى زرع

ولبعضهم

صديق يفدّينا اذا كان حاضرًا ... ويوسعنا فى حال غيبته لسعا
له لطفُ قول دونه كل رقيةٍ ... ولكنّه فى فعله حيّة تسعى

الباب السابع والستون فى مدح المزاح

كان النبى صلّى الله عليه وسلّم يمزح ولا يقول الا حقّا وكان العبّاس رضى الله عنه يقول مزح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فصار المزاح سنّة ومن مزاحه عليه السّلام انه كسى امرأة من نسائه ثوبًا فقال البسيه واحمدى الله وجرّى ثوب العروس وقيل لسفيان بن عيينة المزاح هجنة فقال بل سنّة ولكن الشأن فيمن يحسنه ويضعه مواضعه وكان على رضى الله عنه يقول انّ فيه دعابة وكان يقال المزح فى الكلام كالملح فى الطعام وقد نظمه ابو الفتح البستى فقال

افد طبعك المكدود بالهمّ راحةً ... قليلا وعلّله بشئ من المزح
ولكن اذا اعطيته المزح فليكن ... بمقدار ما تعطى الطعام من الملح

ويقال الافراط فى المزح مجون والاقتصاد فيه ظرافة والتقصير فيه ندامة وقال عطاء بن السّايب كان سعيد بن جبير لا يقصّ علينا الا ابكانا بوعظه ولا يقوم من مجلسنا حتى يضحكنا بمزحه وقال المتنبى

ولما صار ود الناس خبا ... جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت اشك فيمن اصطفيه ... لعلمي انه بعض الانام
فحب العاقلين على التصافي ... وحب الجاهلين على الوسام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لامزح ولا اقول الا حقا وقال الشاعر

ان المزاح يذهب الضغينه ... وحمل ضغن في الحشا مونه

الباب الثامن والستون في ذم المزاح

قال بعض حكماء العرب المزاح يذهب المهابه ويورث الضغينة او المهانه وقال بعضهم المزاح سباب النوك وقال بعضهم المزاح هو السباب الاصغر وقال آخر المزاح يجلب الشر صغيره والحرب كبيره وقال آخر لو كان المزاح فحلا لم ينتج الا الشرا ويقال المزاح اوله فرح وآخره ترح وخير المزاح لاينال وشره لايقال وقيل مزاح لم يحدث شرا او ضغينه وقال ابن المعتز المزاح ياكل الهيبة كما تاكل النار الحطب وقال ايضا من كثر مزاحه لم يزل في استخفاف به وحقد عليه وقال ايضا رب مزح في غوره جد وقال ابو نواس

قد صار في الناس جد اما مزحت به ... كم مازح صار بين الناس مذموم

وقال ايضا اى نار قدح القادح واى جد بلغ المازح ويقال لكل شيء بذء وبذء العداوة المزاح وقال سالم

ابن قتيبة لاهل بيته لا تمازحوا فيستخف بكم ولا تدخلوا الاسواق فتدق اخلاقكم ولا تزعلوا البيض دروبكم اكفاءكم وقال الاحنف من كثر مزاحه ذهبت هيبته ومن كثر ضحكه استخف بذمه وقال الشاعر

اما المزاح والمراء فدعهما ... خلقان لا ارضاهما لصديق

وقال آخر

ان المزاح للجلال مسلبه ... والضحك ايضا للبهاء مذهبه

الباب التاسع والستون في مدح العتاب

قال بعض البلغاء العتاب حدائق المتحابين وثمار الاوداء والدليل على الضن بالاخوة ويقال ظاهر العتاب خير من باطن الحقد ويقال من لم يعاتب على الزلة فليس هو بحافظ للخلة وقال الشاعر

نعاتبكم يا آل عمرو لحبكم ... الا انما المقلي من لا يعاتب

وقال ابن المعتز العتاب حياة المودة ويقال من كثر حقده قل عتابه وقال الشاعر

تركك العتاب اذا استحق اخ ... منك العتاب ذريعة الهجر

ويقال

اذا ذهب العتاب فليس ود ... ويبقى الود ما بقي العتاب

وقال آخر

ابلغ ابا جعفر عني معاتبة ... وفي العتاب حياة بين اقوام

الباب السبعون في ذم العتاب

قال بعضهم كثرة العتاب تورث الضغينة وتولد البغضة وقال بعض البلغاء مثل العتاب مثل الدواء يسقى به على مرض الصدور ويشفى بمكانه مرض الصدور فاذا استعمل لغير علة عارضة وتنوفل بلا حاجة ظاهرة تحول داء المحبة دويا وصار موتا بيد القطيعة وحيا وقال آخر كثرة العتاب داعية الاجتناب وقال الشاعر

ان بعض العتاب يدعو الى الحقد ويؤذى به المحب الحبيبا
فاذا ما القلوب لم تضمر الود فلن يعطف العتاب قلوبا

وقال آخر

فدع العتاب فرب شر هاج اوله العتاب

وقال آخر

اذا ما كنت منكر كل ذنب ولم تجلل اخاك عن العتاب
تباعد من تعاتب بعد قرب وصار به الزمان الى اجتناب

وقال ابن المعتز لا تعاتب صديقك لا دنى سبب واخفى شئ يتعلق به الظن فان ذلك يدل على ضعف ثقتك به ووهن مودتك له وكفى بما قاله بشار بن برد واعظا من العتاب

اذا كنت فى كل الامور معاتبا صديقك لم تلق الذى لم تعاتبه
فعش واحدا او صل اخاك فانه مقارف ذنب مرة ومجانبه
اذا كنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت واى الناس تصفو مشاربه

الباب الحادى والسبعون فى مدح الحجاب

احسن ما قيل فى الحجاب قول ابى تمام

يا ايها الملك النائى برؤيته وجوده لمراعى جوده كثب
ليس الحجاب بمقص منك لى املى ان السماء ترجى حين تحتجب

ولبعضهم

له حاجب عن كل امر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب

وقال ابن نباتة السعدى

ولو كان الحجاب بغير نفع لما احتاج الفؤاد الى حجاب

وقال الحكيم لملك لا تمكن الناس من كثرة رؤيتهم لك فان اجرأ الناس على الاسد اكثرهم له رؤية وقال بعضهم كثرة الاذن مجلبة الابتذال وابهة الملوك فى الاحتجاب وقال آخر المبذول مملول والممنوع متبوع وقد احسن ابن المعتز فى قوله

كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله كذا يخلق المرء العيون اللوامح

وقال ابو جعفر العتبى للامير منصور بن نوح وهو يعرض له بالعتاب على التعرض لكثرة لقاء الناس له لو كان الله عز وجل ظاهرا للعيون غير محجوب عن العبيد لما عبد

الباب الثانى والسبعون فى ذم الحجاب

احسن ما قيل فى ذم الحجاب قول بعض العصريين شعر

ليس الحجاب بمانع الاشراف ان الحجاب مجانب الانصاف
ولقل ما يأتي فيحجب مرة فيعود ثانية بقلب صاف

وقال محمد بن عبد الله بن ابي قتيبة

اني اتيتك للسلام ولم اتقل اليك لغيره رجلي
فحجبت دونك مرتين وقد تشتد واحدة على مثلي

ولبعضهم

اذا كان الكريم له حجاب فما فضل الكريم على اللئيم

وقال آخر في ذم حاجب

سأترك بابا انت تملك اذنه ولو كنت اعمى عن جميع المسالك
ولو كنت بواب الجنان تركتها وحولت وجهي مسرعا نحو مالك

ولآخر

ماذا على بواب بابكم الذي لا الاذن يعطينا ولا يستأذن
لو رد ناردا جميلا عنكم او كان يدفع بالتي هي احسن

وكان خالد بن عبد الله القشيري يقول لحاجبه اذا اخذت مجلسي فلا تحجبن احدا عني فان الوالي يحجب لثلاثة اشياء عي يكره ان يطلع عليه او ريبة يخاف انتشارها او بخل يكره ان يسأل معه شيئا وكانت العجم تقول ما شيء باضيع لملكه من شدة احتجاب الملوك ولا شيء اهيب للجند والرعية واكف لهم عن الظلم من سهولته وقال ابو العتاهية

متى يجد الغادي اليك لحاجة ونصفك محجوب ونصفك نائم

وقال المتنبي

وهل نافعی ان ترفع الحجب بيننا ... ودون الذى املت منك حجاب

الباب الثالث والسبعون فى مدح الزيارة

فى الخبر من زار اخا او عاد مريضا نادى منادٍ من السماء ان طبت وطاب ممشاك تبوأت من الجنة منزلا ويقال امش ميلا وعد مريضا وامش ميلين واصلح بين اثنين وامش ثلاثة اميال وزر صديقا فى الله عز وجل ويقال الزيارة عمارة المودة ونظرية الخلة وزار بعض العلوية يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله فقال له يحيى ان زرتنا فبفضلك وان زرناك فلفضلك ولك الفضل زائرا ومزورا

وقال الشاعر

ازور محمدا فاذا التقينا ... تكلمت الضمائر فى الصدور
فارجع لم المه ولم يلمنى ... وقد رضى الضمير عن الضمير

وقلت فى المبهج من زار صديقه الذى يفضى اليه بسره فقد لقى السرور باسره وخرج عن عقال الهم واسره وفى زيارة الصديق تترك الهم مطردا والانس مطردا وفى زيارة الاخوان روح الجنان وراحة الجنان

الباب الرابع والسبعون فى ذم الزيارة

فى الخبر زر غبا تزدد حبا ويقال قلة الزيارة امان من الملالة ونشد

انى كثرت عليه فى زيارته فمل والشئ مملول اذا كثرا
ورابنى منه انى لا ازال ارى فى طرفه قصرا عنى اذا نظرا

وقال كشاجم

قد قلت لما ان شكت تركى زيارتها خلوب
ان التباعد لا يضر اذا تقاربت القلوب

وقال منصور الفقيه

كثرت عليه فامللته وكل كثير عدو الطبيعه

وقال آخر

اقلل زيارتك الحبيب تكون كالثوب استجده
ان الصديق يمله ان لا يزال يراك عنده

واحسن من هذا قول الآخر

عليك باقلال الزيارة انها اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا
الم تر ان القطر يسأم دائما ويسأل بالايدى اذا هو امسكا

واحسن ما قيل فيه قول الآخر

اقلل زيارة من تهوى مودته فالناس من لم يواسيهم احلوه
فالغيث وهو حياة الناس كلهم ان دام اكثر من يومين ملوه

الباب الخامس والسبعون فى مدح النساء

قال النبى صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة وقال عليه السلام تنكح المراة لجمالها ومالها فعليك بذات الدين تربت يداك

ثم قال عليه السلام ما افاد رجل بعد الاسلام خيراً من امرأة ذات
دين تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا امرها وتحفظه في نفسه
وماله اذا غاب عنها وقال مسلمة بن عبد الله المرأة
الصالحة خير للمرء من عينيه ويديه ويقال اقر متاع
الدنيا لعين المرء المرأة الصالحة والولد الاريب ويقال
من لم تخنه نساؤه تكلم بملء فيه ويقال خير النساء الودود
الولود العقود وقال بعض العرب خير النساء الحيية
اللينة التقية النقية التي تعين زوجها على الدهر ولا تعين
الدهر على زوجها وقال بعض السلف المرأة الصالحة
احدى الحسنيين ويقال اعون الاعوان على المعيشة
المرأة الصالحة ويقال الانسان لا يسكن الى شيء كسكونه
الى زوجته ولذلك ان الله تعالى خلق حواء ليسكن اليها آدم
عليه السلام كما قال عز اسمه هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وجعل منها زوجها ليسكن اليها فالسكون الى الازواج والانس
بهن مما ورثوه عن آبائهم وقال بعضهم ان الرجل
لا يسكن الى شيء كسكونه الى زوجته الموافقة المؤاتية له لان الله
عز اسمه يقول ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا
اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ولم يخصص بهذه القرينة غير النساء
ولذلك يهجر الرجل والديه واولاده ومن دونهم بسبب زوجته
ولذلك لا يهتم احد لاحد كاهتمام المرأة الصالحة لزوجها في
شفقتها عليه وعلى عياله ولا يكاد يتم امر منزل الرجل ومروءته

الا بحرة لطيفة رفيقة صالحة عفيفة والا اختلت اموره
واضطربت اسبابه وقال خالد بن صفوان لرجل اطلب
لي بكراً كثيباً او ثيباً كبكر لا ضرعاء صغيرة ولا عجوزاً كبيرة قد
عاشت في نعمة واذركتها حاجة فخلق النعمة فيها وذل الحاجة
معها ومن احسن ما قيل فيهن قول الشاعر

وهن بنوا الدنيا وهن بناتها وعيش بني الدنيا لقاء بناتها

وقول الآخر

ان النساء رياحين خلقن لنا وكلنا نشتهي شم الرياحين

الباب السادس والسبعون في ذم النساء

قال النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر النساء انهن ناقصات
العقل والدين وقال عليه السلام شاوروهن وخالفوهن
فان البركة في خلافهن وقال عمر رضي الله عنه استعيذوا
بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر ويقال
النساء حبائل الشيطان ويقال اعص هواك والنساء
واصنع ما شئت وقال النبي عليه السلام ما تركت بعدي
فتنة اضر بالرجال من النساء وعنه عليه السلام خلقت المرأة
من ضلع عوجاء فان داريتها استمتعت بها وان رمت تقويمها
كسرتها وقال الشاعر على هذا

هي الضلع العوجاء لست تقيمها الا ان تقويم الضلوع انكسارها
ويجمع ضعفاً واقتداراً على الفتى اليس عجيباً ضعفها واقتدارها

بعضهم
ملكة المرء كمال القدرة
نعم ويعد قدرة كثيرة
مسلطة على نفسه ...
...
٥

قيل

وقيل ان كيد النساء اعظم من كيد الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال الله عز وجل ان كيدكن عظيم وقال بعض الحكماء لا ينبغي لعاقل ان يمدح امرأته الا بعد موتها وقال بعضهم

ان النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين
فهن اصل البليات التي ظهرت بين البرية في الدنيا وفي الدين

وكان المأمون يقول النساء شر كلهن ومن اشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن وقال بعضهم المرأة الصالحة مثل الغل يضعه الله في عنق من يشاء من عباده ويفكه عمن يشاء وكان يقال من التراتل امرأة ان حضرتها سبتك وان غبت عنها لم تأمنها وقال بعض الحكماء اضر الاشياء بالدين والعقل والجسم والمال الغرام بالنساء ومن لؤم من يبتلى بهن انه لا يقتصر على ما عنده ويطمح الى ما ليس له وقال بعضهم من يحصي مساوي النساء وقد اجتمعت فيهن نجاسة البطن والفرج وما فيهن الا ناقصة العقل والدين لا تصلي ولا تصوم ايام حيضها ولا يسلم عليها وليس عليهن جمعة ولا جماعة ولا يكون فيهن نبي ولا قاض ولا يسافرن الا بولي ويقال ما نهيت امرأة عن شيء قط الا اتته وفي معناه يقول طفيل الغنوي

ان النساء كاشجار نبتن لنا منهن مر وبعض المر ماكول
ان النساء متى ينهين عن خلق فانه واجب لا بد مفعول

وقال رجاء بن حياة قال قال معاذ بن جبل انكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم وانى اخاف عليكم فتنة السراء وان اشد ما اكم عندى النساء اذا تحلين بالذهب والفضة ولبسن ريط الشام وعصب اليمن اتعبن الغنى وكلفن الفقير ما لا يقدر عليه

الباب السابع والسبعون فى مدح التزوج

قيل للحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنهما انك يا ابن رسول الله منكاح مطلاق فقال لانى احب الغنى وقد سمعت الله تعالى يقول وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله فنكحت ابتغى الغنى وسمعته يقول وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته فطلقت ابتغى الغنى ايضا وقال النبى عليه السلام لعكاف الهلالى الك امرأة قال لا قال فانت اذا من اخوان الشياطين فان كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وان كنت منا فمن سنتنا النكاح وقال بعض الصحابة عند وفاة زوجته زوجونى زوجونى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصانى ان لا القاه اعزب وقال معاذ بن جبل لو لم يبق من عمرى الا ليلة لاحببت ان تكون لى فيها زوجة خوف الفتنة وقال بعض السلف لاعزب والله ما يمنعك من التزوج الا عجز او فتور ويقال النكاح من سنن المرسلين وكذلك العطر والسواك

الباب الثامن والسبعون في ذم التزوج

سئل بعض الحكماء البلغاء عن التزوج فقال فرح شهر وغم دهر ووزن مهر ودق ظهر ويقال اذا قيل للرجل املك فقال اهلك وقال آخر المملك هو المملوك الآن ثمنه عليه وقال بعض العرب بيتاً فيه

يقولون تزوج واشهد انه هو البيع الا من يشاء يكذب

ويقال قيل للعتابي انت اعزب فلو تزوجت فقال وجدت الصبر عنهن ايسر من الصبر عليهن وقيل لمالك بن دينار مثل ذلك فقال لو استطعت لطلقت نفسي وفي كتاب ملح النوادر ان ذئباً كان ينتاب بعض القرى ويعبث فيها فترصده اهلها حتى صادوه وتشاوروا في تعذيبه وقتله فقال بعضهم تقطع يداه ورجلاه وتدق اسنانه ويخلع لسانه وقال بعضهم بل يصلب ويرشق بالنبال وقال بعضهم لا بل توقد نار عظيمة ويلقى فيها وقال بعض المتمجنين بنسائه لا بل يزوج وكفى بالتزويج تعذيبا وفي هذه القصة يقول الشاعر

رب ذئب اخذوه وتماروا في عقابه
ثم قالوا زوجوه وذروه في عذابه

الباب التاسع والسبعون في مدح الجواري

كان يقال من اراد قلة المؤنة وخفة النفقة وحسن الخدمة

وارتفاع الحشمه فعليه بالاماء دون الحرائر وكان ابن
عبد الملك يقول عجبت لمن استمتع بالسرارى كيف يتزوج الحرائر
ويقال السرور في اتخاذ السرارى وكان اهل المدينة يكرهون
اتخاذ الاماء امهات اولادهم حتى نشأ فيهم على بن الحسين بن على
ابن ابى طالب والقاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق وسالم بن عبد الله
ابن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهم وفاقوا اهل المدينة
فقها وعلما وورعا وما منهم الا ابن سرية فرغب الناس في اتخاذ
السرارى وقال مؤلف الكتاب وليس في خلفاء بنى العباس
من ابناء الحرائر الا ثلاثة السفاح والمنصور والمخلوع واما
الباقون كلهم ابناء السرارى والجوارى وقد اوردت اسماء الكل
في كتاب لطائف المعارف المؤلف بخزانة مولانا الملك المؤيد
اعز الله نصره وثبت ملكه وكان يقال النجابة في اولاد
الاماء لانهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم ولما تزوج على
ابن الحسين بام ولد دخل من الانصار لائمة عبد الملك بن مروان
على ذلك فكتب اليه ان الله عز اسمه قد رفع بالاسلام الخسيسة
واتم النقيصه واكرم من اللوم فلا عار على مسلم فى هذا
قد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امة واتخذ ولد فقال
مثله فقال ان مثلنا يتشرف من حيث يتضع الناس وفي كتاب
اللطائف [illegible] من النعم الجسيمه وفيه لا تتخذ السر
الاسرية قالت [illegible] وقلت في كتاب المدح
[illegible] الدهر [illegible] والعيش [illegible] السرارى

ازطير سعدى جوارٍ ... مع امتلاك الجوارى
ايام عيشى قعودى ... وقد ملكت اختيارى
اجرى بغير عذارٍ ... اجنى بغير اعتذار
وعيم لهوى مطيرٌ ... وزندانيى وارى
كان خوارزمشاه الـــهمام اصبح جارى
من ريب دهر خؤونٍ ... بغير ماسٍ جارى
ذاك المليك الذى قد ... حكت يداه السوارى
وقد حمى الدين لما ... جلاه يوم الفخار
فظل سورًا عليه ... وتارة كسوار
لا زال خوارزمشاه ... يحوى الغنى باقتدارِ
صدرًا بغير مبارٍ ... بدرًا بغير سرار

الباب الثمانون فى ذم الجوارى

احسن ما سمعت فى ذم الجوارى ما انشدنى ابو الحسن السهروردى وقال انشدنى المحبوبى المروزى قول الشاعر

اذا لم يكن فى منزل الحر حرة ... رأى خللا فيما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حر قعيدة ... فهن لعمر الله شر قعائد

وكان يقال الجوارى كخبز السوق والحرائر كخبز الدور ومن امثال العرب لا تمازح امة ولا تبل على اكمة وسمعت ابا الحسن المامرخسى يقول سمعت بعض صدور نيسابور يقول لا تفترش من تداولتها ايدى النخاسين ووقعت

في الموازين ويقال لا خير في بنات الكفر وقد نودي عليهن
في الأسواق ومرت عليهن ايدى الفساق

الباب الحادي والثمانون في مدح العيال

قال بعض السلف استكثروا من العيال فانكم لا تدرون
بمن ترزقون ويقال من لا عيال له لا مروءة له وفي
طلحة الطلحات لا تمنعوا من اتخاذ العيال فانكم لا تدرون
بمن ترزقون واعلموا ان ارزاقهم على الله ومرافقتهم لكم وكان
يقال الكلب ومن لا عيال له بمنزلة وكان جعفر بن سليمان
يقول المروءة في سعة الحال وكثرة العيال وشكى رجل
الى بعض العلماء كثرة عياله فقال له من كان من عيالك رزقه
على غير الله فحوله الي ومما يستحسن في ذلك لابي العتاهية

الخلق كلهم عيال الله تحت ظلاله
واحبهم طرا اليه ابرهم لعياله

الباب الثاني والثمانون في ذم العيال

كان يقال قلة العيال احد اليسارين وقال خلف
ابن ايوب كم من كريم فضحته العيال وقال سفيان
ابن عيينة لا يصلح ولا يجوز ولا يستقيم ان يكون صاحب
العيال ورعا ويقال العاقل يتخذ المال قبل العيال والجاهل
يتخذ العيال قبل المال وروي سفيان بن عيينة يوما واقفا

بباب يحيى بن خالد البرمكي فقيل له ليس هذا من مواطنك
يا ابا محمد فقال متى رأيتم صاحب العيال افلح وكان يقول انى لأتعجب
ممن له عيال وليس له مال كيف لا يخرج على الناس بالسيف
ومن الامثال السائرة السيارة على وجه الارض العيال سوس
المال وقيل لبعضهم ما المال قال قلة العيال وقال آخر
لا مال لكثير العيال ومن مواعظ كتاب المبهج استظهر على الدهر بخفة الظهر

الباب الثالث والثمانون في مدح الولد

في الخبر المرفوع ريح الولد من ريح الجنة ويروى عنه عليه السلام
انه قال لاحد الحسنين رضي الله عنهما انك من ريحان الله وعنه
عليه السلام ولد الرجل من اطيب كسبه ويقال الولد قرة العين
وريحانة الانف وثمرة القلب وقال بعض السلف اولادنا
اكبادنا وقال الاحنف لمعاوية اولادنا ثمار قلوبنا وعماد
ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة ان غضبوا فارضهم
وان سألوا فاعطهم ولا تكن عليهم قفلا فيملوا حياتك ويتمنوا
وفاتك وقالت اعرابية وهي ترقص ولدها شعر

يا حبذا ريح الولد ريح الخزامى في البلد
اهكذا كل ولد ام لم يلد قبلي احد

ومما يستحسن من الفاظ الصاحب قوله في كتاب وصل كتاب
مولاي فالصقته بالقلب والكبد وشممته شم الولد وقال
من سره ان يرى كبده يمشي على الارض فليبصر ولده

الباب الرابع والثمانون في ذم الولد

قال بعض حكماء العرب من سره بنوه ساءته نفسه وكان يحيى بن خالد يقول ما رأى احد في ولده ما يحب الا رأى في نفسه ما يكره وقال ابن الرومي في معناه

كم من سرور لي بموت لودي اولمه يعد
ونمدا يهدد في الزما ن رايت منه اشد
ومن العجائب ان اسر بمن يشد بما اهد

وقال ابن المعتز في فصوله ءافقرك الولد ام عاداك وفي المثل اذا ترعرع الولد تزعزع الوالد وقيل لعيسى عليه السلام هل لك في الولد فقال ما حاجتي الى من ان عاش كدني وان مات هدني وقيل لبعض النساك مالك لا تبتغي ما كتب الله لك قال سمعا لامر الله ولا رحبا بمن ان عاش فتنني وان مات احزنني يريد قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال حكيم في ذم الاولاد ملوك صغارا واعداء كبار يريد قوله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ويقال من اراد ان يذوق الحلاوة والمرارة فليتخذ ولدا ويذشد لابي سهل سعيد بن عبد الله الشكلي

هذا الزمان الذي كنا نحذره فيما يحدث عن كعب ومسعود
ان دام هذا ولم يحدث به غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

وقال المتنبي

وما الدهر اهل ان يؤمّل عنده حياة وان يشتاق فيه النسل — ابي

وقال ابو الطيب سهل بن سهل الصعلوكي

يقولون ذكر المرء يحيى بنسله وليس له ذكر اذا لم يكن نسل
فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي فان فاتنا نسل فانا بها ننسلو

وقال ابن المعتز

سكنتك يا دنيا بزعمي مكرها وما كان لي في ذاك صنع ولا امر
وجربت حتى قد قتلتك خبرة فانت وعاء حشوه الهم والضر
فان ارتحل يوما ادعك ذميمة وما فيك من عودي غراس ولا بذر

وقيل لفيلسوف بعق والدية لم تعق والديك فقال لانهما اخرجاني الى عالم الكون والفساد وقيل لاعرابي لم اخرت التزوج الى الكبر فقال لا بادر ولدي باليتم قبل ان يسبقني بالعقوق وحدثني ابو نصر سهل بن المهدي قال كان رجل من المياسير بالبصرة يتمنى ان يرزق ابنا وينذر عليه النذور حتى ولد له فسر به غاية السرور واحسن تربيته حتى ارتفع عن مبلغ الاطفال الى حد الرجال ولم يهمه شيء من امر الدنيا سواه ولم يدخر ممكنا من الاحسان عنه فلم يشعر الاب ذات يوم الا بخنجر خالط جوفه من وراء ظهره فاستغاث بابنه فلم يجبه ثم استغاث به ثانية والتفت فاذا هو صاحب الضربة فقال الشيخ لا اله الا الله محمد رسول الله استغفر الله صدق الله اراد بالتهليل ان يلقى الله بالايمان وبالاستغفار ان الله تعالى حذره فلم يحذر وبقوله صدق الله عز وجل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم

عدو لكم فاحذروهم بجمع بهذه الكلمات كل ما يحتاج اليه في تلك الحال

الباب الخامس والثمانون في مدح البنات

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا امير المؤمنين فقال هذه تفاحة القلب وريحانة العين وشمامة الانف فقال امطها عنك قال ولم قال لانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الشحناء ويثرن البغضاء قال لا تقل ذلك يا عمرو فواالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا اعان على الزمان ولا اذهب جيش الاحزان مثلهن وانك لواجد خالا قد نفعه بنو اخته وابا قد رفعه نسل بنيه فقال يا معاوية دخلت عليك وما على الارض شئ ابغض الى منهن واني لاخرج من عندك وما عليها شئ احب الى منهن

وقال معن بن اوس

رأيت رجالا يكرهون بناتهم وفيهن لا تكذب نساء صوالح
وفيهن والايام يعثرن بالفتى خوادم لا يمللنه ونوائح

وقال العلوي الحماني في صديق له ولدت له بنت فسخطها

قالوا له ماذا رزقت فأصاخ ثمة قال بنتا
واجل من ولد النسا ء ابو البنات فلم جزعتا
ان الذين تود من بين الخلائق ما استطعتا
نالوا بفضل البنت ما كبتوا به الاعداء كبتا

وفي رقعة للصاحب بالتهنئة بالبنت اهلا وسهلا بعقيلة النساء

وأم الابناء وجالبة الاصهار والاولاد الاطهار والمبشرة باخوة يتناسقون ونجباء يتلاحقون شعر

فلو كان النساء كمن وجدنا لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب وما التذكير فخر للهلال

والله تعالى يعرفك يا مولاى البركة فى مطلعها والسعادة بموقعها فادرع اغتباطا واستأنف نشاطا فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها والذكور يعبدونها والارض مؤنثة ومنها خلقت البرية وفيها كثرت الذرية والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب وحليت بالنجم الثاقب والنفس مؤنثة وهى قوام الابدان وملاك الحيوان والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الاجسام ولا عرف الانام والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون وفيها ينعم المرسلون فهنيئا لك هنيئا بما اوتيت واوزعك الله شكر ما أعطيت

ونسخة رقعة لابن الفرج الببغا اتصل بى خبر المولودة المسعودة كرم الله عرقها وانبتها نباتا حسنا وما كان من تغيرك عند اتصال الخبر وانكارك ما اختاره الله لك فى سابق القدر وقد علمت انهن اقرب من القلوب وان الله بدأ بهن فى الترتيب فقال عز من قائل يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وما سماه الله تعالى هبة فهو بالشكر اولى وبحسن التقبل احرى فهناك الله بورود الكريمة عليك وثمرها اعداد النسل الطيب لديك والسلام

الباب السادس والثمانون فى ذم البناء

قيل لاعرابي ما ولدك قال قليل خبيث قيل وكيف قال لا عدد اقل من الواحد ولا اخبث من بنت وكان يقال دفن البنات من المكرمات ويقال تقديم الحرم من النعم وفي الحديث المرفوع نعم الختن القبر ويروى لعبد الله بن طاهر

لكل ابي بنت اذا ما ترعرعت ثلاثة اصهار اذا ذكر الصهر
فزوج يراعيها وبيت يكنها وقبر يواريها وخيرهم القبر

وقال غيره

جعلت فداك من النائبات ومتعت ما عشت من الطيبات
سرور ان ما لهما ثالث حياة البنين وموت البنات
واصدق من ذين قول الحكيم دفن البنات من المكرمات

وكان الاستاذ الطبري يقول ليس بشيخ من لا بنت له وان كان ابن تسعين سنه وليس بشاب من له بنت وان كان ابن عشرين سنه وقيل يا طوبى لمن صاهر القبر وخطب اليه الدهر ووضع في ميزانه الاجر

الباب السابع والثمانون في مدح الغلمان

قال مطيع بن اياس لو لم يكن للمرد فضيلة الا ان الله تعالى خلق ملائكته مردا واهل الجنة مردا لكانت فيها الكفاية وانما عنى الحديث المرفوع اهل الجنة مرد جرد مكحلون

وفي ذلك يقول الشاعر

لو كان يرضى ربنا باللحى ما خلق الجنة للمرد

وكان يقال الغلام هو الرفيق في السفر والقريب في الحضر
والصديق في الشدة والرخا والمعين على الشغل والنديم عند
الشرب وهو مفتاح الانس وكان يحيى بن اكثم يقول
قد اكرم الله اهل جنته بان اطاف عليهم غلمانا كانهم لؤلؤ
مكنون وولدانا مخلدين في وقت رضاه عنهم وقرب اتصاله
منهم لفضلهم في الخدمة على الجواري فما الذي يمنعني عاجلا
من طلب هذه الكرامة المخصوص بها اهل القرب عند الله والزلفى
لديه وقيل للمسلم الاصغر لم فضلت الغلام على الجارية
فقال لانه في السفر صاحب وفي الاخوان نديم وفي
الخلوة اهل وقال مطيع بن اياس

من كان تعجبه الانثى ويعجبها ... من الرجال فاني شفني الذكر
فوق الخماسي لما طر شاربه ... رخص البنان خلا من جلده الشعر
لم يعجف من كبر حتى يراد به ... من الامور ولا ازرى به الصغر

وقال آخر

فديتك انما اخترناك عمدا ... لانك لا تحيض ولا تبيض
ولو ملنا الى وصل الغواني ... لضاق بنسلنا البلد العريض

وقال ابو نواس

اني امرؤ ابغض النعاج وقد ... يعجبني من نتاجها الحمل
حتى اذا ما رايت لحيته ... فليس بيني وبينه عمل

وكتب بعضهم الى صديق له على ظهر

كتبت اليك في ظهر لعلمي ... بانا معشر نهوى الظهورا

وان الصيد للغزلان خير من السمك الذى يأوى البحورا

الباب الثامن والثمانون فى ذم الغلمان

قال بعض السلف لا تملؤا اعينكم من المردان فان فتنتهم كفتنة الغوانى وتربى عليها وقيل من اولع بحب الغلمان استهدف لالسن الطاعنين وقال ابن الرومى

حبك الغلمان ما امكن النسوان غبن
انما يمشق في ظهر اذا ما اعوز بطن

وقال الصابى

لحاجة المرء فى الادبار ادبار والمائلون الى الاخراج اخرار
كم من ظريف نظيف بات ممتطيا ردف الغلام فاضحى وهو عطار
تصفر اثوابه من وزس فقحته فيستبين لذاك الخزى والعار
لا يستطيع جحودا اذ تقذره يوما وفى ثوبه للسلح آثار
كم بين ذاك ومن بات ممتطيا حوراء ناظرها بالغنج سحار
يقوم عنها وقد اهدت له ارجا تضوعت من غوالى طيبه الدار
ليس الغلام لها عدلا يقاس بها وهل يقاس بعود الند اقذار
اياكم يا ثقاتى من محالفتى فلا يجذكم عن الاخراج اجحار

وقال بعض الرؤساء استراح من اقتصر على النساء وقال بعض الحكماء الظرفاء اللواط ليس من الاحتياط وكان الاستاذ الطبرى يقول اجتماع الايرين فى لحاف واحد خطر عظيم وخطر كبير وانشد

عليك الاناث وايثارهن　　ودع سيدى عنك ذكر الذكر
فليس للواط سوى الاحتياط　　وايران تحت لحاف خطر

الباب التاسع والثمانون فى مدح الخط والعذار

يقال هل يحسن الروض الا بزهره وقال بعض البلغاء احسن مايكون وجه الامرد الصبيح اذا نقش الخط فص وجهه واحرق فضة خده وقال آخر خط الوجه الحسن كالسواد الحال فى القمر ومن احاسن الشعر فى معناه للصاحب الجليل حيث قال

ان كنت تنكره فالبدر يعرفه　　او كنت تظلمه فالحسن ينصفه
ماجاده الشعر كى يمحو محاسنه　　وانما جاءه عمدا يغلفه

وقال ابو الفرج الببغا

ومهفهف لما اكتست وجناته　　حلل المحاسن طرزت بعذاره
لما انتصرت على عظيم جفائه　　بالقلب صار القلب من انصاره

وقال ابو نواس

قد كان بدر السماء حسنا　　والناس فى حبه سواء
فزاده ربه عذارا　　تم به الحسن والبهاء
لا تعجبوا ربنا قدير　　يزيد فى الخلق مايشاء

وقال ايضا

من اين للرشا الغرير الاحور　　فى الخد مثل عذاره المتحدر
قمر كأن بعارضيه كلاهما　　مسكا تساقط فوق ورد احمر

وقال الشهاب الحجازى

ومهفهف الحاظه وعذاره يتعاضدان على فناء الناس
سفك الدماء بصارم من نرجس كانت حمائل غمده من آس

وقال آخر

وخط نم فى حافات خده له فى كل يوم الف عاشق
كان الريح قد مرت بمسك وذرت ما حوته على الشقايق

الباب التسعون فى ذم الخط والعذار

قال بعض البلغاء اذا اخط الغلام استحال نور خده دجا وزرد خطه سجا ويقال عيب العذار ان يكسف الهلال ويعلى الحال ويمسخ الجمال وينقص الكمال وقال الشاعر

قلت لما تشوكت وجنتاه وازال الظلام ضوء نهاره
اى شئ هذا فقال مجيبا كل من مات سودوا باب داره

وقال التنوخى

قلت لاصحابى وقد مر بى متنقبا بعد الضيا بالظلم
بالله يا اهل ودى قفوا كى تبصروا كيف تزول النعم

وقال بعض العصريين

اخنى عليه الشهر والدهر ومحا محاسن وجهه الشعر
ومن يصف ما قد دهاه يقل لا تعجبوا قد يكسف البدر

وقال آخر

ما يفعل الله باليهود ولا بعاد ولا ثمود
ولا بابليس اذ تأبى يوم دعاه الى السجود

ولا يفزعون اذ تعدى ... مما يفعل الشعر بالخدود
بينا يرى الامرد المفدى ... كالبدر في ليلة السعود
اذ غمر الشعر عارضيه ... فصار قردا من القرود

وقيل ليس بعد الشعر حسن

الباب الحادى والتسعون في مدح المماليك

يقال العبد من لا عبد له ويقال الكلب ومن لا عبد له سواء وقال دعبل النسابة في المماليك هم عز مستفاد وفي اكباد الاعداء اوتاد وقال سعيد بن سالم لا بد للعبيد من عبيد وكان يقال الاحسان الى العبيد رضا للرب ومسخطة للعدو وكان جعفر بن سليمان يقول في العبيد ان اكلوا من مالك زادوا في جمالك ويقال العيش في سعة الدار والعز في كثرة العبيد وقال آخر عز الملوك في كثرة المملوك وقال آخر رب عبد خير من ولد لان الولد في اكثر الاوقات والاحوال يرى صلاحه في موت ابيه والعبد يرى صلاحه في بقاء سيده . واحسن ما سمعت في وصف مملوك ومدحه قول ابي عثمان الخالدى في شان غلامه حيث قال

ما هو عبد ولكنه ولد ... خولنيه المهيمن الصمد
وشد ازرى بحسن خدمته ... فهو يدى والذراع والعضد
صغير سن كبير منفعة ... تمازج الضعف فيه والجلد
في سن بدر الدجا وصورته ... فمثله يصطفى ويعتقد

معشق الطرف كحله كحل　　معطل الجيد حليه الجيد
وورد خديه والشقائق والتفاح والجلنار منتضد
رياض حسن زواهر ابدا　　فيهن ماء النعيم مطرد
وغصن بان اذا بدا واذا　　شدا فقمرى بانة غرد
مبارك الوجه مذ حظيت به　　بالى رخى وعيشتى رغد
انسى ولهوى وكل ماربى　　مجتمع فيه لى ومنفرد
مسامرى ان دجا الظلام فلى　　منه حديث كانه الشهد
ظريف مزح مليح نادرة　　جوهر حسن شراره يقد
خازن ما فى دارى وحافظه　　فليس شئ لدى مفتقد
ومنفق مشفق اذا انا اسرفت وبذرت فهو مقتصد
يصون كتبى فكلها حسن　　يطوى ثيابى فكلها جدد
وابصر الناس بالطبيخ فكالمسك　　القلايا والعنبر الثرد
وهو يدير المدام ان جليت　　عروس بكر نقابها الزبد
يمزج كاسى يدا انامله　　تحل من لينها وتنعقد
مهفهف كيس فلا عوج　　فى بعض اخلاقه ولا اود
ويعرف الشعر مثل معرفتى　　وهو على ان يزيد مجتهد
وصيرفى للقريض وزان دينار المعانى الدقاق منتقد
وكاتب توجد البلاغة فى　　الفاظه والصواب والرشد
وواجد بى من المحبة والرأفة اضعاف ما به اجد
اذا تبسمت فهو مبتهج　　وان تمردت فهو مرتعد
ذا بعض اوصافه وقد بقيت　　له صفات لم يحصها احد

الباب الثانى والتسعون فى ذم المماليك

من امثال العرب ليس عبدك باخ لك ومنها الحر يعطى والعبد يألم قلبه ويقال الحر حر وان مسه ضر والعبد عبد وان كانت قلادته در ومن الامثال ما طيب الغنى لولا العبيد والاما وقال ابن مفرغ الحميرى

العبد يقرع بالعصى والحر تكفيه الملامه

وقال يزيد بن محمد المهلبى شعر

ان العبيد اذا اذللتهم صلحوا على الهوان وان اكرمتهم فسدوا
ما عند عبد لمن يرجوه من فرج ولا على العبد عند الخوف معتمد
فاجعل عبيدك اوتادا تشججها لا يثبت البيت حتى يقرع الوتد

وفى الخبر اشتروهم صغارا وبيعوهم كبارا وقال بشار الحر يلحى اى يلام والعصى للعبد وقال سعيد بن محمد الطبرى

وان الحر فى الحالات حر وان الذل يقرن بالعبيد

وقال المتنبى

العبد ليس لحر صالح باخ لو انه فى ثياب الحر مولود
لا تشترى العبد الا والعصى معه ان العبيد لانجاس مناكيد

وسئل بعضهم عن غلام له فقال يأكل فرها ويعمل كرها

وقال ابن الرومى

لى خادم لا زال اخبسه يغيب حتى يرده شبعه
نرسله لاشتراء فاكهة فقصر ان تجيئنا كتبه

[illegible] قد أضيفي لمّا أن بعثت به   فهيهات يوم الحساب منقلبه
وخلته قد سما الى كرم رضوان كي يجتني له عنبه
وانما زار مالكا فرأى   زقوم صدقٍ فظلّ ينتخبه
هل مشترٍ والسعيد بائعه   او قابل والسعيد من يهبه
اضرّ بالمسلمين جالبه   لا كان من جالبٍ ولا جلبه

ومثله قول راشد الكاتب في ذمّ غلام له قد باعه وكان اسمه نفيسا فسماه خبيسا

بعنا خبيثا فلم يحزن له احدٌ   وغاب عنّا فغاب الهمّ والنكد
أهوِن به خارجا من بين اظهرنا   لم نفتقده وكلب الدار يفتقد
قد عرّيت من صنوف الخير خلقته   فلا رواءٌ ولا عقلٌ ولا جلدُ
يدعو الغول الى ما تحت مئزره   دعاء من في استه النيران تتقد

وقال فيه ايضا

عرضنا خبيثا فاختشى كلّ تاجر   شراه واعيى بيعه كلّ دلّال
وما بات في قوم يحبّون قربه   فاصبح الا والمحبّ له قالي
فما في يديه خدمة يشتهى لها   ولا عنده معنى يراد على حال
بلى ليس يخلو من معائب اهله   وان اصبحوا في ذروة الشرف العالي
اذا لم يجد فيهم معابا رماهم   ببعض عيوب الناس في الزمن الخالي
ويحتال في استخراج ما في بيوتهم   بما قصرت عنه يدا كلّ محتال
وان حمّلوه سرّ امرٍ اذاعه   وكادهم فيه كيادة مغتال
ويعبث بالجيران حتى يملّهم   ويبرم اهل الدار بالقيل والقال
تريهم صروف الدهر من حمقاته   اعاجيب لم تخطر بوهم ولا بال

قولك وقد مروا به يعرضونه   إلى النار فاذهب لا رجعت ولا ما

وقال الشهاب محمود معارضاً للخالدي في ذم غلام له

ما هو عبد كلا ولا ولد   الا عنًى تضنى به الكبد
وفرط سقم اعيى الاساة فلا   جلد عليه يبقى ولا جلد
اقبح ما فيه كله ولقد   تساوت الروح منه والجسد
اشبه شيء بالقرد فهو له   إن كان للقرد في الورى ولد
ذو مقلة حشو جفنها عمص   تسيل دمعاً وما بها رمد
ووجنة مثل صبغة الورس لـكن ذاك صاف ولونها كمد
كأنما الخد في نظافته   قد أكلت فوق صحنه غدد
يقطر سما فضحكه ابداً   شزر بكاء وبشره حرد
يجمع كفيه من مهانته   كأنه في الهجير مرتعد
يطرق لا من حيا ولا خجل   كأنه للتراب منتقد
ألكن الا في الشتم ينبح كالـكلب ولو أن خصمه الأسد
يشتمني الناس حين يشتمهم   اذ ليس يرضى بشتمه احد
كسلان الا في الأكل فهو اذا   ما حضر الأكل جمرة تقد
كالنار يوم الرياح في الحطب الـيابس تأتي على الذي تجد
يرفل في حلة منتنة   من قمله قد طرزها طرد
أجمل أوصافه النميمة والـكذب ونقل الحديث والحسد
كل عيوب الورى به اجتمعت   وهو بأضعاف ذاك منفرد
إن قلت لم يدر ما أقول وإن   قال كلانا في الفهم متحد
كأن ما لي إذا تسلمه   ماء قراح وكفه سرد

حملته لى دواة حسنت ... كنت عليها فى الظرف اعتمد
كمثل زهر الرياض مارأت ... عينى لها مشبها ولا تجد
فمر يوما بها على رجل ... لديه علم اللصوص يستند
اودعها عنده ففر بها ... وماحواه من بعدها البلد
فجاء يبكى فظلت اضحك من ... فعلى وقلبى بالغيظ يتقد
وقال لى لا تخف فحليته ... مشهورة الشكل حين يعتقد
عليه ثوب وعمة وله ... ذقن ووجه وساعد ويد
وقائل بعه قلت خذ ولا ... وزن تجازى به ولا عدد
ففى الذى قد اضاعه عوض ... وهو على ان يزيد مجتهد

الباب الثالث والتسعون فى مدح الخصيان

كان يقال الخصيان ملائكة بنى آدم وقيل لابى العينا لم اتخذت غلامين اسودين خصيين فقال اتخذتهما اسودين لئلا اتهم بهما وخصيين لئلا يتهما بى وعرض على بعض الملوك غلام صبيح خصى فقال هذا يصلح للفراش والهراش وكان بعضهم يتخذ الخدم الخصيان ويختار منهم البيض الحسان فقيل له فى ذلك فقال لانهم بالنهار فوارس وبالليل عرائس وفيهم يقول الشاعر مادحا

هم نساء لمنظر مقيم ... ورجال ان كانت الاسفار

وفيهم يقول محمد بن المخلوع

مبرءون من الشعر الكريه ومن ... حمل الاير واخراج مناثيين

وهم

وهم نساء اذا حاولت خلوتهم　　وهم رجال لدى الهيجاء يحمونى

الباب الرابع والسبعون فى ذم الخصيان

قال ابو الفضل الخصى اذا قطعت خصيته قويت شهوته وسخنت معدته ولانت جلدته وانجردت شعرته واتسعت فقحته وكثرت غلته وغزرت دمعته ويقال من جب زبه ذهب لبه وقال المتنبى فى معناه

لقد كنت احسب قبل الخصى　　بان الرؤس مقر النهى
فلما نظرت الى عقله　　رايت النهى كلها فى الخصى

ومما يستطرف للجماز قوله فى خصى اسمه سنان كان يعشق جارية

ماللبغيض سنان　　وللوجوه الملاح
اليس زان خصى　　غاز بغير سلاح

ووصف الجماز رجلا بالرعونة فقال مثله كمثل الخصى يفتخر من زب مولاه ونظر خصى الى اقلف فى الحمام فقال الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده فقال له الاقلف كل من له خصيتان له فضل عليك وابلغ ما قيل فى ذم الخصى قول بعض السلف لم يلد مؤمن ولم يلد مؤمنا

الباب الخامس والتسعون فى مدح النبيذ

قال كسرى النبيذ صابون الهم ومن هنا اخذ الشيخ بدر الدين الشبكى فقال

وكنت اذا الحوادث دنستني   فزعت الى المدامة والنديم
لاغسل بالكؤوس الهم عني   لان الراح صابون الهموم

وقال ارسطاطاليس الراح كيمياء الفرح ومن هنا اخذ ابن الوكيل حيث قال

ولست الكيميا في غيرها وجدت   وكلما قيل في ابوابها كذب
قيراط خمر على القنطار من حزن   يعود في الحال افراحا وينقلب

وقال جالينوس الراح صديق الروح وقال اخر الراح درياق الهموم فاخذ ابن الوكيل فقال

ان الذي جعل الهموم عقاربا   جعل المدام حقيقة درياقها

وقال عبد الملك بن صالح الهاشمي ما حشيت الدنيا باطرف من النبيذ قال في المبهج لكل شئ سر وسر النبيذ السرور وفيه الدنيا معشوقة وريقها الراح وقال الجاحظ ان النبيذ اذا تمشى في اعضائك ودب في اجزائك منحك صدق الحس وفراغ النفس وجعلك حلو الذرع نقي الطبع قرير العين منشرح الصدر حسن النطق ذكي الذهن وسد عنك باب الغم وحسم عنك خاطر الهم وحسر عنك عارض السقم وهو الذي رد الشيوخ الى طبائع الشبان والشبان الى طبائع الصبيان وروي عن ابن عباس انه كان يقول ما حرم النبيذ الا كل لئيم ولا يحلله الا كل كريم ولا يمدحه الا كل جواد سخي ولا يذمه الا كل بخيل ضنين ولكن اتقوا السكر فانه عار ومنقصة ولقد نوه عنه رسول الله صلى الله

عليه الرحمة حلاً طيباً وانا لنتقوى به على طعامنا وقيامنا
ونميط به غواشي همومنا وكان ابن الرومي يقول قد افلح
شارب النبيذ لانه يقيه الشح والله تعالى يقول ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون ونظم هذا المعنى فقال شعراً

اعاذل ان شرب الراح رشد … لان الراح تأمر بالسماح
تقينا شح انفسنا وذاكم … اذا ذكر الفلاح من الفلاح

وقيل لابن نعيم ما تقول في النبيذ المصفى المصفق المروق
المروق المعسل المعتق فجعل يتمطق ويقول اخاف ان لا اشتغل
بشكر الله على هذه النعمة الجزيلة الجميلة وكان مطيع بن اياس يقول
ان في النبيذ لمعنى في الجنة لان الله تعالى يقول حكاية عن اهلها
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن والخمر يذهب الحزن وقال
ابو عثمان لو نطق النبيذ لشكر ابن الرومي على قوله فيه

والله ما ادري لاية علة … في الراح يدعوها الفتى بالراح
الريحها من روحها تحت الحشا … ام لارتياح نديمها المرتاح

وقيل لابن عائشة القرشي ان فلاناً لا يشرب النبيذ فقال
ويله قد طلق الدنيا ثلاثاً وقيل للاعمش مثل ذلك فقال دعوه
بقتله القولنج وقيل للرقاشي لم اولعت بالشراب فقال لانه
يقدح في يدي نوراً وفي قلبي سروراً وقال حسان بن ثابت شعراً

اذا ما الاشربات ذكرن يوماً … فهن لطيب الراح الفداء
ونشربها فتتركنا ملوكاً … واسداً لا ينهنهنا اللقاء

وقال غيره

وان رضاع الكاس اعظم حرمة ... واوجب حقا من رضاع لبان

وقال آخر

ما بيننا رحم الا ادارتها ... والراح رحمتها اولى من الرحم

وقال المأمون

اما ترى الدهر لا تنفى عجائبه ... والدهر يخلط معسورا بميسور

وليس للهم الا شرب صافية ... كأنها دمعة من عين مهجور

وقال ابن الرومي

خل الزمان اذا تقاعس او جمح ... واشك الهموم الى المدامة والقدح

واحفظ فؤادك ان تمر ثلاثة ... واحذر عليه ان يطير من الفرح

هذا دواء للهموم مجرب ... فاسمع نصيحة حازم لك قد نصح

ودع الزمان فكم نصيح حازم ... قد رام اصلاح الزمان فما صلح

وقال هبة الله بن المنجم

الراح في ابريقها ... احسن روح في جسد

فهاتها نصلح بها ... من الزمان ما فسد

ولمؤلف الكتاب في صباه

وعقار عيش من ... عاقرها عيش انيق

فهي للانس نظام ... والى اللهو طريق

وهي للازواج في ... ابدا نعم الصديق

قلت لما لاح لي ... منها شعاع وبريق

اشقيق ام عقيق ... ام حريق ام رحيق

الباب السادس والتسعون فى ذم النبيذ

فى الحديث المرفوع جمع الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه الخمر وفى المبهج الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور وعاتب ابن الضحاك ابن مزاحم صديقا له على شرب النبيذ فقال انما اشربه لانه يهضم الطعام فقال ما يهضم من دينك اكثر وقيل لبعض الحكماء اشرب معنا فقال انا لا اشرب ما يشرب عقلى وقيل لبعضهم النبيذ كيميا الطرب فقال نعم ولكنه داعية الحرب وقال آخر لابنه يا بنى اياك والشراب فانه مفسدة للدين والمال وانشدنى ابو الفضل عبد الله بن احمد

تركت النبيذ وشرابه ... وصرت صديقا لمن عابه
شراب يضل طريق الهدى ... ويفتح للشر ابوابه

لطيفة روى ان آدم عليه السلام لما غرس شجرة الكرم جاء ابليس اللعين اليها فذبح عليها طاوسا ثم قردا ثم اسدا ثم خنزيرا فشربت من دماء الاربعة فلذلك تعترى شاربها هذه الاحوال فاولا يختال ويتبختر كالطاوس ثم يهذى ويعربد كالقرد ثم تلحقه الحرارة الغضبية فيصير كالاسد ثم ينقطع وينام كالخنزير قال المقريزى وقد شاهدت بعينى فى بعض ازقة القاهرة رجلا سكران وقد استلقى على ظهره فجاء كلب وبال على وجهه فصار يقول اكرمكم الله كما اكرمتونى بهذا الماء وزد

النفيس وقال شاعر العرب

ومن يقرع الكاس اللئيمة سنه فلابد يوما ان يسيء ويجهلا
ولم ار مشروبا اشد سفاهة واوضع للاشراف منها واخملا

الباب السابع والتسعون في مدح الصبوح

كان بعضهم يقول الشراب باكورة الحياة وبكر الشهوات والشرب في شباب النهار اقوى لاسباب الانس وادعى لاضطراب النفس واجمع لشمل اللهو وآخذ لحظوظ الشهوة وقال الشاعر

ان شرب المدام سير الى اللهو وخير المسير صدر النهار

ولذلك قال ابن المعتز اسقني الراح في شباب النهار قلت وعلى طريقته قال العلوي الحماني

ان صدر النهار انضر شطريه كما نضرة الفتى في فتائه

ولابن المعتز مزدوجة تقع في هذا الباب

لي صاحب قد لامني وزادا في تركي الصبوح ثم عادا
قال الا تشرب بالنهار وفي ضياء الفجر والاسفار
اذا وشى بالليل صبح فافتضح وذكر الطائر شجوا فصدح
ونفض الليل على الروض الندا وحركت اغصانه ريح الصبا
وقال شرب الليل قد آذانا وطمس العقول والاذهانا
الا ترى البستان كيف نورا ونشر المنثور بردا اصفرا
وضحك الورد الى الشقائق واعتنق القطر اعتناق الوامق

في روضة ككحل العروس … وزهرة كهامة الطاوس
وياسمين في ذرى الاغصان … منتظم كقطع العقيان
والسرو مثل قضب الزبرجد … قد استمد العيش من ريح ندى
وخلق البهار بين الآس … كأنه جمجمة الشماس
وجلنار كاحمرار الخد … او مثل اعراف ديوك الهند
والاقحوان كالثنايا الغر … قد صقلت انواره بالقطر
اشرب فهذا احسن بالميل … وثق على ما تشتهي وعول
واكثر الاوصاف والاصنافا … فقلت قد جبتك الجلافا
بت عند ناحية اذ الصبح سفر … كأنه جدول ماء انفجر
قمنا الى زاد لنا معد … وقهوة صراعة للجلد
كأنما حبابها المنثور … كواكب في فلك تدور
ومسمع يلعب بالاوتار … ارق من نائحة القماري
ولا تقل لي قد الفت منزلي … فتخلف الوعد بعذر مشكل
فقال هذا اول الجنون … متى ثوى الضب بارض النون
دعوتكم الى الصبوح شملا … اكون فيه اذا جئتم اولا

وقال ابن الحجاج

الصبح مثل البصير حالا … والليل في صورة الضرير
فليت شعري باي حال … يختار اعمى على بصير

الباب الثامن والتسعون في ذم الصبوح

احسن واجمع ما قيل في ذم الصبوح قول ابن المعتز في المزدوج

اسمع فانّ للصبوح عائبُ   عندى من اخبارِه عجائبُ
اذا اردتَ الشربَ قبل الفجرِ   والنجمُ فى لجّة ليلٍ يسرى
وكان بردٌ فالنديمُ مرتعِد   وريقُهُ على الثنايا قد جمِد
وللغلامِ ضجرةٌ وهمهمة   وشتمةٌ فى صدرِه مجمجمة
يمشى بلا رِجلٍ من النعاس   ويدفقُ الكأسَ على الجلّاسِ
وإن احسّ من نديمٍ صوتا   قال بحيّا طعنةً وموتا
وإن يكن للقومِ ساقٍ يعشقُ   فجفنُه بجفنِه مدبّقُ
ورأسه كمثلِ روضٍ قد مُطِر   وصدغُه كالصولجانِ المنكسر
أعجِل عن سواكِه وزينته   وهيئةٍ تنضرُ حسنَ صورته
يخدمهم بسبجٍ محلولِ   ويحمل الكأسَ بلا منديلِ
وإن طردتَ البردَ بالسمّورِ   وجئتَ بالكانونِ والتنّورِ
فأىُّ فضلٍ للصبوحِ يُعرفُ   على الغبوقِ والظلامُ مسدفُ
وقد تنبّت شررَ الكانونِ   كأنّه نثارُ ياسمينِ
وتركُك البساطَ بعد الجهدِ   ذا نُقَطٍ سودٍ كجلدِ الفهدِ
حتى إذا ما ارتفعت شمسُ الضحى   قيل فلانٌ وفلانٌ قد أتى
وربّما كان ثقيلاً يحتشمْ   مطوّلَ الكلامِ حيناً وحتمْ
ورُفع الرشادُ والنبيذُ   وزال عنك عيشُك اللذيذُ
ولستَ فى طولِ النهارِ آمنا   من حادثٍ لم يكُ قبلُ كائنا
او خبرٍ يكرهُ او كتابِ   يقطعُ أنسَ اللهوِ والشرابِ
فاسعَ إلى مناكبِ الصبوحِ   فى الصيفِ قبل الطائرِ الصدوحِ
حين حلا النومُ وطاب المضجعُ   و[illegible] ولذّ المهجعُ

فقرب الزاد الى نيامِ | السنهم ثقيلة الكلامِ
من بعد ان دب عليه النملُ | وحية تقذف سمًّا صلّ
وعقربٌ محذورة قتّالة | وجعل وفأرة بوّالة
وللمغني عارض في حلقه | ودمعة قد قدحت في عينه
وان اردت الشرب بعد الفجر | والضيف قد سل سيوف الحر
فساعة ثم تجيك الدامغه | بنارها ولا تسوغ سائغه
ويسخن التراب والمزاج | ويكثر الخلاف والضجاج
من معشر قد جرعوا الحميما | واطعموا من زادهم سموما
وصار يحان لهم كالمغت | وكلهم لكلّهم ذو مقت
وبعضهم عند ارتفاع الشمس | يحس جوعًا مولمًا للنفس
وان دعى الساقي بالطعام | خيط جفنيه على المنام
لو ملئ الادنس الاثواب | مهوّسًا مسيئ للاصحاب
ذا شارب وظفر طويل | ينغص الزاد على الاكيل
ومقلة مبيضة المآق | وآذن لحقة الدرياق
وجسد عليه جلد من وسخ | كانه شرب نفطًا او لطخ
هذا كذا وما تركت اكثر | فجربوا ما قلته وفكروا

ولہ ايضًا

لا تدعني لصبوح | ان الغبوق حبيبي
فالليل لون شبابي | والصبح لون مشيبي

ولبعضهم

الوجه مثل الصبح مبيضٌ | والشعر مثل الليل مسودٌ

ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد

وللبستي

بدا لي في الصبا لما بدا لي نهار الشيب في ليل القذال
كأن الشعر شرب كان صفوا فشابته الليالي بالقذال

الباب التاسع والتسعون في مدح السماع

قال بعض الفلاسفة امهات لذات الدنيا اربع لذة الطعام ولذة الشراب ولذة النكاح ولذة السماع فاللذات الثلاث لا وصول الى كل الا بحركة وتعب ومشقة ونصب ولها مضار اذا استكثر منها واما لذة السماع قلت اوكثرت صافية من التعب خالصة من النصب خالية من الوصب وقد نظم ذلك من قال

وجدت رئيسة اللذا ت اربعة متى تحسب
فمنها لذة المنكح والمطعم والمشرب
وتبقى بعدها اخرى من الصوت الذي اطرب
وهذي قد تفيد النفس ابهاجا ولا تنصب
وما من لذة من تلك الا وهي قد تتعب

قال مؤلف الكتاب ومن خصائص السماع انه لا يحجز ولا يحجبه شئ وان الجمع بينه وبين كل عمل ممكن وان الابل والخيل تستطيبه وترقص عليه والصبيان الرضع تستلذه وتسكن اليه والوحوش والطيور تسكن الى فائقه وتعرج عليه وكان بعض فقهاء المتكلمين يقول قد اختلف الناس في السماع فاباحه قوم وحظره آخرون

وانا اخالف الفريقين فاقول انه واجب لكثرة منافعه ومرافقه وحاجة الناس اليه وحسن اثر استماعها به وكان عبدالله بن جعفر يقول انى لاجد للسماع اريحية ولو سئلت عندها اعطيت ولو قاتلت ابليت وسمع معاوية عند عبدالله بن جعفر غناء فحرك رأسه ورجليه وصفق بيديه ثم لما اناب رأيه اليه قال كالمعتذر منه ان الكريم طروب ولاخير فيمن لايطرب وكان مروان بن ابى حفصة اذا تغدى عند اسحق الموصلى يقول له اطعموا آذاننا رحمكم الله وكان يحيى بن خالد البرمكى يقول خير الغناء ما اشجاك وابكاك واطربك والهاك ويقال ان الغناء غذاء الروح كما ان الطعام والشراب غذاء البدن ومن احسن ماقيل فى الغناء قول بعضهم

غنت فلم تبق فى جارحة ... الا تمنيت انها اذن

الباب المائة فى ذم السماع

قال الحطيئة لقوم نزل بهم جنبوا مجلسنا الغنا فانه رقية الزنا وسمع سليمان بن عبدالملك ذات ليلة فى معسكره غناء فامر بصاحبه ان يخصى ثم قال ان الفرس ليصهل فتستودق له الرمكة وان الجمل ليرغو فتستضبع له الناقة وان الرجل ليغنى فتغتلم له المرأة وكان الكندى يقول لابنه اياك والسماع فانه برسام حاد وذلك ان المرء يسمع فيطرب ويطرب فيسمح ويسمح فيعطى ويعطى فيفتقر ويفتقر فيهتم ويهتم فيمرض ويمرض فيموت وكتب البديع فى رقعة الى تلميذ له توفى ابوه

وخلف مالا يا مولاى ذلك المسموع من العود يسميه الجاهل نقرا والعاقل فقرا بل وقرا وذلك الخارج من الناى هو المؤثر فى الآذان دم وعدا فى الابواب سمر والعمر مع هذه الآلات ساعه والفقطا فى هذا العمل بضاعه وطلب بعض المغنين جائزة من بعض المحصلين فقال المسؤل له اعلم ان المال روح والغناء ريح ولست اشترى الريح بالروح ونظمه الشيخ الامام فقال

الا ان الغنى للمرء روح ... وان غناه فى الآذان ريح
وما يحصل عقلا ودينا ... مضيع منه بين الريح روح

الباب الحادى والمائة فى مدح الزجاج

مدح سهل بن هرون الزجاج ووصفه فى بعض مجالس الملوك فقال الذهب مخلوق والزجاج مصنوع وفضيلة الذهب بالصلابة وفضيلة الزجاج بالصفا ثم ان الزجاج ابقى على الدفن وهو مجلو نورى والذهب متاع ساتر والشراب فى الزجاج احسن منه فى كل جوهر ولا يفقد معه وجه النديم ولا يثقل فى اليد ولا يرتفع فى السوم وقدور الزجاج اطيب من قدور الحجارة وهى لا تصدأ وان اتسخ فالماء وحده لها جلاء ومتى غسلت بالصابون صارت جددا والزجاج اشبه شئ بالماء وصنعته عجيبة وصفته غريبة وصبغه اغرب واعجب ومن كرع فيه لشرب ماء فكانما يشرب فى اناء من ماء وهواء وضياء ومرآة المركبة فى الحائط اضوء من مرآة الفولاذ والصور فيها ابين وقد تقدح النار من قنينة الزجاج

اذا كان فيها ماء محاذى عين الشمس لانّ طبع الزجاج والماء والهواء
والشمس من عنصر واحد وليس فى كل ما يدور الفلك عليه جوهر
اقبل لكلّ صبغ واجدران لايفارقه منه حتى كان ذلك الصبغ جوهر
ومتى سقط عليه ضياء انفذه الى الجانب الآخر واعاره لونه وان
كان الجامد الالوان اراك بياض البيت احسن من وشى صنعاء
ومن ديباج تستر ولم يتخذ الناس آنية اجمع لما يريدون منه وقال
الله تعالى عزّ ذكره قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة
وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير وقال
عزّ ذكره واكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديرا
واشتق الفضّة من اسمها على انّ الزجاج اقطع من السيف
واحدّ من الموس واذا وقع شعاع المصباح على جوهر الزجاج صار
مصباحا آخر وردّ كل واحد منهما الضياء على صاحبه واعتبروا
ذلك الشعاع الذى على وجه الماء وعلى الزجاج ثم انظروا كيف
يتضاعف نوره حتى يكاد يعشى عين الناظر اليه قال الله تعالى
الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح
فى زجاجة الزجاجة وكان سليمان بن داود عليهما السلام
اذا عبّ فى الاناء كلحت فى وجهه مردة الجن والشياطين فعلّمه
الله صنعة الزجاج

الباب الثانى والمائة فى ذم الزجاج

احسن ما ذمّ به الزجاج قول النظّام فانه اخرجه فى كلمتين

باوجز لفظ واتم معنى فقال يسرع اليه الكسر ولا يقبل الجبر
ومن هنا قال الشاعر

احرص على حفظ القلوب من الأذى فرجوعها بعد التنافر يعسر
ان القلوب اذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

وقال آخر

وهشيم الزجاج ارجى صلاحا من فساد القلوب بعد الصلاح

قال مؤلف الكتاب ليس الزجاج من حسن المتاع وهو على مدرجة الهلاك والضياع لان الآفات ترفرف عليه والعاهات تسارع اليه وكلما كان اثمن واقوم كان الخطر فيه اشد واعظم وما احتاط على ماله من غالى به واسرف في ثمنه وكتب مروان ابن محمد الى بعض الخوارج انى واياك كالحجر والزجاجة اذ وقع عليها رضها وان وقعت عليه فضها وكما قال الشاعر

وآلت يمينا كالزجاج رقيقة وما حلفت الا لتحنث من اجلي

وقال السرى يعاتب صديقا له على سر اذاعه

سترى لذلك كأسرار الزجاجة لا يخفى على العين منها الصفو والكدر
فاحذر من السر كسرا لا انجبار له فللزجاجة كسر ليس ينجبر

وقال ابن علاق النهرواني للزجاج النحوي

لك نفس قد جبرناه فاعيتنا صدوعه
فانود منك مثل ما قد كنت بالامس تبيعه

الباب الثالث والمائة في مدح الذهب

قال شداد الحارثى الذهب ابقى الجواهر على الدفن
واصبرها على النار واقلها نقصانا على النار وهو اوزن من كل
شئ اذا كان فى مقدار شخصه وجميع جواهر الارض اذا وضع
على الزيبق فى انائه طفى ولو كان ذا وزن ثقيل وحجم عظيم ولو
وضعت عليه قيراطا من الذهب لرسب حتى يضرب قعر الاناء
ولا يجوز ولا يصلح ان تشد الاسنان المنتزعة بغيره ولا يوضع
فى مكان الانوف المصطلمة سواه وميله اجود الاميال واهل
الهند تمره فى العين بلا كحل ولا ذرور لصلاح طبعه وموافقة
جوهره لجوهر الناظرين وللحسن بهما فى العيون وحلاوة فى الصدور ومنه الزريان
والصفائح الذى يكون فى سقوف الملوك وعليه مدار التبايع منذ
الزمان الاول والدهر الاطول وهو ثمن لكل شئ وهو فوق الفضة
مع حسنها وكرمها باضعاف واضعاف اضعاف والارض التى
تنبته وتسلم عليها تحيل الفضة الى جوهرها فى السنين اليسيره
والمدة القصيره وتقلب الحديد الى طبعها فى الايام والاوقات الضئيله
والطبيخ الذى يكون فى قدره اغذى وامرى واصح فى الجوف واطيب
وسئل امير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه عن الكبريت الاحمر
فقال هو الذهب وقال النبى صلى الله عليه وسلم لوان لى طلاع
الارض ذهبا لافتديت به من هول المطلع فاجراه فى ضرب المثل
بركل مجرى وقال الله تعالى حكاية عن شأن الكفار ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى
به فدل على عزته وعظيم قدره وقال ابو يزيد البلخى

معلوم انه ليس من الجواهر الموجودة فى العالم اطول بقاء من الذهب
لما يرى من انقضاء الزمان الطويل بدون فساد يعرض عليه حتى ان
العامة لتحكم بانه جوهر لا فساد فيه البتة وانما خص بهذا البقاء
الطويل وابطاء آفات التغير بسبب اعتدال مزاجه فى الحرارة والبرودة
والرطوبة واليبوسة فان كل ما خرج من الاشياء المركبة عن الاعتدال
الى افراط كيفية من الكيفيات الاربع اسرع اليه الفساد لغلبة تلك
الكيفية وكذلك الفساد الذى هو ضد الكون سببه الخروج عن
الاعتدال ولصحة مزاجه لم يوجد فيه صداء كغيره من الجواهر
والمتهولة التى فيه لم توجد فى غيره اذ كل ما عداه يكسب الاطعمة
والاشربة المجعولة فيه نوعا من فساد الطعم والرائحة وكل ما اكل
وشرب فيه وجد سليما من هذا العارض ولذلك اختار الملوك
العظماء الاكل والشرب فيه ووعد الله تعالى عباده به فى دار الثواب
فقال سبحانه يطاف عليهم بصحاف من ذهب كما قال فى باب الحلية
والزينة جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب
وذلك لما كانت العادة به من متنعمى الملوك فى هذه الدنيا بان يحلوا
اعضاءهم الشريفة بالذهب وكذلك شأنهم اذا بالغوا فى اكرام من
يقفون منه على بلاء عظيم فى الحرب والدفاع عن حوزة الملك
والجلالة قدره ما حكى الله عز اسمه فى قصة موسى عن فرعون فلولا
القى عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة ومن احسن
ما قيل فى وصف الذهب قول قدامة حكيم المشرق الذهب نسيم مركوم
وشعاع معقود فانى بعلة بجبة حيث ذكر انه شعاع الشمس

وقد انعقد فصا رجمادا وفي المبهج الذهب خير مال حاضر لباد او حاضر وقال ايضا من ملك الصفر والبيض ابيض وجهه واخضر عيشه و سود وجه عدوه

الباب الرابع والمائة في ذم الذهب

قال سهل بن هارون الذهب اسم يتطير منه ولا يتفاءل به ومن لؤمه اسراعه الى بيوت اللئام وابطاؤه عن بيوت الكرام وقال المتنبي في معناه

شبيه الشئ منجذب اليه　　واشبهنا بدنيانا الطغام
وما انا منهم بالعيش راض　　ولكن معدن الذهب الرغام

والذهب فتان لمن اصابه ويقال الذهب من مصايد ابليس ولذلك قال اهلك الرجال الاحمران وقلت في المبهج ما اسرع ذهاب الذهب وانفضاض الفضة

الباب الخامس والمائة في مدح الشطرنج

احسن ما قيل فيه قول ابن المعتز

يا عايب الشطرنج من جهله　　وليس في الشطرنج من باس
في فضلها يا قوم اشياء　　شغل عن الغيبة للناس
وتذهل العاشق عن شغله　　وصاحب الكاس عن الكاس
وصاحب الحرب بتدبيرها　　يزداد في الشدة والباس
واهلها في حسن آدابهم　　من خير اصحاب وجلاس

وقال ابن الرومي في معناه يمدح الشطرنج والنديم وأحسن

فتى نصب الشطرنج كيما يرى بها
عواقب لا تسمو بها عين جاهل

واجدى على السلطان في ذاك انه
يريد بها كيف اتقاء الغوائل

وتصريف ما فيها اذا ما اعتبرته
مثال لتصريف القنا والقنابل

تأمل حجاه في دقائق هزله
تجد حجاه في الخطوب الجلائل

وسئل محمد المزني عن المتلاعبين في الشطرنج فقال اذا سلمت ايديهما من الضرب والخسران والسنتهما من الفحش والعدوان وصلاتهما من السهو والنسيان كانت ادبا بين الاخوان والخلان وكان المأمون يقول عجبت من ذراع في ذراع يدبرها العقلاء منذ دهر طويل فلم يقفوا لها على غاية وكان سعيد بن جبير رضي الله عنه يقول ما وضع هذا الشطرنج الا لامر عظيم

الباب السادس والمائة في ذم الشطرنج

ذكر الصولي في كتاب شعراء مصر ان الخراساني الشاعر كان حاذقا بلعب الشطرنج فعابها الحسين بن محمد مكايدة له فقال صاحبها ابدا مشغول مهموم يحلف بالله كاذبا ويعتذر مبطلا ويشتم نفسه ويسخط ربه وكل صناعة لا تجوز المكابرة فيها غيرها فان صاحبها يغلب في ساعة فتنقضي دعواه وهي لعب الصائم اذا جاع والعامل اذا عزل والمخمور حتى يفيق وانما هي خشب

هزمر خشبا ولعب اورث من غير طائل تعبا ثم ان الرجل
ليسئل عن غلامه فيقال هو يلعب فيضربه ولا يستحيي ان
يقول لم حتى تلعب الشطرنج وانت تقول في الكاس ما اخذه
وفي الطنبوري ما اضربه فاذا عبرت عن الشطرنجي قلت
ما العبه فما تقول في صناعة العبارة عن الكاس احسن
من العبارة عن صاحبها وفي كتاب يتيمة الدهر
لمؤلف هذا الكتاب ان ابا القاسم الكسروي كان يبغض
الشطرنج ويذمها ولا يقارب من يشتغل بها ويطنب
في ذكر عيوبها ويقول لا ترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا
دنيا ولا فقيرا الا طفيليا ولا تسمع نادرة بارده الا على الشطرنج
فاذا اجرى شيء منها قيل جاء الزمهرير ولا يتمثل بها الا فيما يعاب
ويكره فاذا اخذت اليسلزان قيل قد فرزنت واذا كان
مع الغلام الصبيح رقيب ثقيل قيل معه فرزند بند واذا
استحقر قدر الانسان قيل كانه بيدق الشطرنج واذا
رؤي طفيلي يكثر الاكل على المائدة ويسيء الادب في
المواكلة قيل انظروا الى يد هذا الكشخان كانها الرخ
في الرقعة واذا رؤي زيادة لا يحتاج اليها قيل زيد في
الشطرنج بغل واذا سب رجل ساقط المروءة قيل من
انت في الرقعة واذا ذكر وضيع ارتفع قيل متى تفرزنت يا بيدق

الباب السابع والمائة في مدح النرجس

قال جالينوس من كان له رغيفان فليجعل احدهما في ثمن النرجس لان الخبز غذاء البدن والنرجس غذاء الروح وكان انوشروان ينظر الى النرجس ويشبهه بالعيون ويقول اني لاستحي ان اجامع في بيت فيه نرجس وكان الحسن بن سهل يقول من ادمن شم النرجس في الشتاء امن من البرسام في الصيف ووصف بعض البلغاء النرجس فقال كان عينه عين وورقه ورق وساقه زمرد وقد اكثر الشعراء في وصفه فقال ابو نواس

اي الجنون

تأمل في نبات الارض وانظر ... الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... باحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بان الله ليس له شريك

ولبعضهم

يا صاح ان وافيت روضة نرجس ... اياك فيها المشي فهو محرم
حاكت عيون معذبي بذبولها ... ولاجل عين الف عين تكرم

وابن الرومي فضله على الورد بقوله

خجلت خدود الورد من تفضيله ... خجلا تورده عليها شاهد
لم يخجل الورد المورد لونه ... الا وناحله الفضيلة عاند
للنرجس الفضل المبين وان ابى ... آب وحاد عن الطريقة حائد
فصل القضية ان هذا قائد ... زهر الربيع وان هذا طارد
وان احتفظت عليه فامتع صاحب ... وعلى المدامة والسماع مساعد
اطلب بعقلك في الملاح سمية ... ابدا فانك لا محالة واجد

وَالوردُ ان فتشتَ فى اثمانهِ   مَا فى الملاح له سمىٌّ واحدُ
هذى الزهورُ هى التى قد ربيت   بحيا السحاب كما يربى الوالدُ
فانظر الى الاخوين من ادناهما   شبهًا بوالده فذاك الماجدُ
اين الخدود من العيون نفاسة   ورياسة لولا القياسُ الفاسدُ

ولهُ ايضًا فيه

ارى حسن هذا النرجس الغض مخبرا   عن الله ان ليس النبيذ محرّما

الباب الثامنُ والمائة فى ذمّ النرجس

لما فضّل ابن الرومى النرجس على الورد تصدّى له الشعراء بالمناقضة والمعارضة فقال ابن الحاجب

يا ذا الذى للحقّ ظلّ يعاند   وقد استبان له الطريق القاصد
قايست نرجسك الذى فضلته   بالورد يا هذا قياسك فاسدُ
وعدلتَ عن عدل الحكومة جائرًا   بقضيّة فيها عليك أواجدُ
وجعلت افضله ان هذا قائد   زهر الربيع وان هذا طاردُ
والنرجس البادى وليس بمفضل   والورد بعد النوّر اجمع واردُ
واذا الجيوش تتابعت فى موكب   فبآخرها يجئ القائدُ
وأجل من عين يشين بياضها   لون من اليرقان اصفر باردُ
خدّ تورّد لونه لنعيمه   فعليه من خلع الربيع مجاسدُ
والورد ساق مستقر اصله   والنرجس المضعوف غصن مائدُ
فتأمل الاثنين ايهما رست   اعراق منصبه فذاك الماجد
ما اخّر الورد الخطير مقدمًا   للنرجس المرذول الا حاسدُ

وقال ابو العلا السروى

انظر الى نرجس تبدت صبحاً لعينيك منه طاقة
وكن اسامى مشبهيه بالعين فى دفتر الحماقة
واى حسن يرى لطرف مع يرقان يحل ماقه
كأنه ركبت عليها صفرة بيض على رقاقة

وقال آخر

قد اجاد الورد حجته فى مقال غير ذى خطل
قال لى ابصرت نرجسة غضة فى كف ذى غزل
فهى تحكى عين ذى مرض يقطع الايام بالعلل

الباب التاسع والمائة فى مدح الورد

قال ابن سكرة الهاشمى

للورد عندى محل لانه لا يمل
كل الرياحين جند وهو الامير الاجل

ولآخر

كتب الورد الينا فى قراطيس الخدود
يا بنى الصهبا صلوفى قد دنا وقت الورود

وقال ابو الفرج الببغا

زمن الورد اظرف الازمان واوان الربيع خير اوان
اشرف الزهر زار فى اشرف الدهر فصل فيه اشرف الغشيان
ويهدى بغير واحد من الفضلاء يستظرف قول ابن ابى البغل

تمتع من الورد القليل بقاؤه · كأنك لم يفجاك الا فناؤه
وودعه بالتقبيل والشم والبكا · وداع حبيب قد يطول لقاؤه

ومما يدخل على الاذن بلا اذن قول على ابن الجهم

زائر يهدي الينا · نفسه في كل عام
حسن الوجه زكي الريح · الف للمدام
عمره خمسون يوما · ثم يمضي بسلام

وقوله

ما اخطأ الورد منك شيئا · حسنا وطيبا ولا ملالا
اقام حتى اذا آنسنا · بقربه اسرع انتقالا

وقال مؤلف الكتاب في المبهج اذا ورد الورد صدر البرد

الباب العاشر والمائة في ذم الورد

كان ابن الرومي يذم الورد ويهجنه لانه كان يزكم من رائحته وقد قال في ذمه وهو من نوادر التشبيه

وقائل لم هجرت الورد مقتبلا · فقلت من قبحه عندي ومن سخطه
كانه صرم بغل حين اخرجه · عند البراز وباقي الروث في وسطه

ولغيره

النرجس الغض لذات الغنج · والورد من شم رعاع وهمج
اما تراه حين يبدو طالعا · كانه صرم حمار قد خرج

وبلغني ان الامير خلف بن احمد كان ينشد كثيرا قول البستي

لا يغرّنك انني لين المسّ ... لانى اذا ما انتضيت حسام
انا كالورد فيه راحة قوم ... ثم فيه لآخرين زكام

الباب الحادى عشر والمائة فى مدح الشتاء

احسن ما قيل فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه

وقد احسن ابو تمام

ان الشتاء على شآمة وجهه ... لهو المفيد طلاوة المصطاف

وقال آخر

لولا الذى غرس الشتاء بكفه ... قاسى المصيف هشائما لا تثمر

وقال آخر

خضرة الصيف من بياض الشتا ... وابتسام الثرى بكاء السماء

قال مؤلف الكتاب ومن محاسن الشتاء طول الليل الذى جعله الله سكنا ولباسا وبرد الماء الذى هو مادة الحياة وانقطاع الذباب والبعوض وعدم ذوات السموم من الهوام وامنها على الطعام والاجسام وهو حبيب الملوك واليف المتنعمين يطيب لهم فيه الاكل والشرب ويجمع فيه الشمل ويظهر فيه فضل الغنى على الفقير وهو زمان الراحة كما ان الصيف زمان الكد ولذلك قال من لم يغل دماغه صائفا لم تغل قدوره شاتيا كما قيل

وان الذى لم يغل صيفا دماغه ... وجدك لا تغلى شتاء قدوره

كذلك مقسوم المعايش في الورى بسعي ورعي تستتب اموره

ومدح بعض الدهاقين الشتاء فقال آكن بيه ما جمعت واتمتع بما ادخرت واي شئ احسن من كانونين في كانون ومن لبس الخز والسمور والقعود في الطوار مع الاحباب وتناول الدراج والكباب والاستظهار على البرد بالشراب والشرب على الثلج يثلج الصدر وقال بعض الكتاب

ليت الشتاء يعود لي بنعيمه ان الشتاء غنيمة الكتاب

قصر النهار وطال ليل ممتع فيه يلذ بقينة وشراب

الباب الثاني عشر والمائة في ذم الشتاء

احسن ما قيل في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم احذروا البرد فانه قتل اخاكم ابا الدرداء قال بعض السلف الشتاء عدو الدين وهلاك المساكين وفي الخبر الحر يؤذي والبرد يقتل وقال الجاحظ الشتاء عند الناس هو الكلب الكلب والعدو الحاضر يتاهب له كما يتاهب الجيش ويستعد له كما يستعد للحريق والغريق وقال مؤلف الكتاب الشتاء عذاب وبلاء وعقاب ولأواء يغلظ فيه الهواء ويستحجر له الماء وتحجر الفقراء وما ظنك بما يزوى الوجوه ويعمش العينين ويسيل الانوف ويغير الالوان ويقشف الابدان ويميت كثيرا من الحيوان فكم فيه من يوم ارضه كالقوارير اللامعة وهواه كالزنابير اللاسعة

قوله قتل اخاكم هذا الحديث موضوع باجماع المحدثين لان ابا الدرداء لم يقتله البرد اهـ

وليلٍ يجولُ بين الكلب وهريره والاسد وزئيره والطير وصفيره والماء وخريره وقال آخر نحن في الشتاء بين لثق وزلق ودمق وقال الشيخ الامام رحمه الله

نحن في شتوتنا في قلق ... وتمادى شفق في فرق
ليس يخلو يومنا والليل من ... لثق او زلق او دمق

الباب الثالث عشر والمائة في مدح الصيف

يقال الصيف خفيف المؤنة جليل المعونة كثير النفع قليل الضر وهوام الحب والرياحين ونبات البساتين وراحة الفقراء والمساكين وستر الضعفاء والمتجملين والعون على عبادة رب العالمين وطبعه طبع الشباب الذي هو باكورة الحياة كما ان الشتاء طبعه الهرم الذي هو باكورة العدم ٥

الباب الرابع عشر والمائة في ذم الصيف

في الحديث المرفوع شدة الحر من فيح جهنم وقلت في المبهج حر الصيف كحد السيف وقلت ايضا

ربّ يوم هواؤه يتلظى ... فيحاكي فؤاد صبٍّ متيم
قلت اذ خدّ حرّه حرّ وجهي ... ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

وكتب بعض الكتاب الى بعضهم اشكو الى مولاي صيفا لا يطيب معه عيش ولا ينفع فيه ثلج ولا خيش وكتب آخر

كيف لى بالحركة وقد قوى سلطان الحر وفرش بساط الجمر
لاسيما فى الهاجرة التى هى كقلب المهجور والتنور المسجور
وكتب آخر لا مرحبا بالصيف من ضيف فهو عون
على الحيات والعقارب وام الذباب والخنافس وظئر البق
الذى هو آفة الخلق ثم قال فيه

من كل سائلة الخرطوم طاعنة لا تحجب السجف مسراها ولا الكلل
طافوا علينا وحر الصيف يطبخنا حتى اذا نضجت اجسامنا اكلوا

الباب الخامس عشر والمائة فى مدح المطر

قال الله تعالى وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته يعنى المطر وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكشف رأسه للمطر تعظيما لرحمة الله تعالى وقال عز وجل وانزلنا من السماء ماء طهورا وقال سبحانه وتعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا وكان امير المؤمنين على رضى الله عنه يقول من كان له داء قديم فليستوهب امرأته درهما من مهرها وليشتر به عسلا ويشربه بماء السماء ليكون قد اجتمع له الهنى والمرى والشفاء والمبارك وهو مأخوذ من قوله تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء مباركا وكان ابن العباس رضى الله تعالى عنه يقول المطر

لبعضهم
ليل البراغيث ليل لا نفاد له
لا بارك الله فى ليل البراغيث
كانهن وجسمى اذ طفن به
يد القضاة على مال المواريث

بغل الارض يعني انه يلقحها ومنه اخذ ابن المعتز قوله

ومزنة مشعلة البوارق تبكي على الارض بكاء العاشق
تلقح بالقطر بطونا للثرى والقطر بغل للتراب العاتق

وقال بعض البلغاء رحبا بالغيث الذي اغاث الانام وأروى الهضاب والآكام واحيى النبات والسوام

وقال آخر يا فرحا بالغيث الذي احيى الورى وروى الثرى ونبه عيون النور من الكرى وقال ابو تمام

غيث اتانا مؤذنا بخفض فضت به السماء حق الارض
يمضي ويبقى انعما لا تمضي كأنه قام بشكر القرض

وقال احمد بن ابي طاهر

وعارض مبتسم قد استهل ومد اطناب الغمام واظل
حتى اذا اثرى الثرى من وبله واخصب الجدب تولى وارتحل
كما انزل الله لنا من رحمة ومن حياة بحياه اذ نزل

وقال مؤلف الكتاب

اتى هذا النثار على النظام وجاء الخير اذ جاد الغمام
فللوسمي في ارضي بكاء وللزرع ابتهاج وابتسام

الباب السادس عشر والمائة في ذم المطر

كان يقال المطر مفسد الميعاد ويقال الغيث لا يخلو من العبث وقلت في المبهج قد عاقت الامطار عن الاوطار وحالت الاوحال عن الوصال وقال ابو نواس

هو الغيث الا انه باتصاله ... اذى ليس قول الله فيه بباطل
لئن كان احيى كل رطب ويابس ... لقد حبس الاحباب وسط المنازل

وقال ابو على البصير

من تكن هذه السماء عليه ... نعمة او يكن بها مسرورا
فلقد اصبحت علينا عذابا ... ولقينا منها اذى وشرورا
صيرت منزلى على خرابا ... وعادتها ان تخرب المعمورا
ايها الغيث كنت بؤسا وفقرا ... لى وللناس حنطة وشعيرا

وقال ايضا

رحمة صيرت على عذابا ... تركت منزلى خرابا يبابا
لم تدع لى بها ولا لعيالى ... سقف بيت يكفنا السحابا
امطرتنا خلاف ما امطرت النا ... س لبنا وجندلا وترابا

وقال ابن المعتز

رويننا فما نزداد يارب من حيا ... وانت على ما فى النفوس شهيد
سقوف بيوتى صرن ارضا ادوسها ... وحيطان دارى ركع وسجود

الباب التاسع عشر والمائة فى مدح القمر

قال مؤلف الكتاب القمر هو نور الله عز وجل من جند الملكوت وهو الذى يجعل الليل نهارا وبه يشتبه كل وجه حسن ويتمثل به فى كل خير وفيما يقول الناس من حكاياتهم ان اعرابيا نام ليلا عن جمله ففقده فلما طلع القمر وجده فرفع الى الله يديه وقال اشهد انك قد اعليته وجعلت السماء حصنه

ثم نظر الى القمر فقال ان الله صوّرك ونوّرك وعلى البروج دوّرك واذا شاء قوّرك واذا شاء كوّرك فلا اعلم مزيدًا اسأله لك فلئن اهديت الى قلبي سرورا لقد اهدى الله اليك نورا ثم انشد يقول

ماذا اقول وفيك القول ذو خطل وقد كفيتني ذا التفصيل والجملا
ان قلت لازلت علويًا فانت كذا او قلت زانك ربي فهو قد فعلا

الباب الثامن عشر والمائة في ذم القمر

ابلغ ما قيل في ذلك واجمعه قول بعض الظرفاء الادباء من يسكن الدار بكراءٍ وقد قيل له انظر الى القمر ما احسنه فقال والله ما انظر اليه لبغضي فيه قيل ولمَ ذلك قال لان فيه عيوبًا لو كانت في حمارٍ لرُدّ بالعيب قيل وما هي قال ما يشهد فيه العيان ويشهد به الاثر فانه يهدم العمر ويقرب الاجل ويحلّ الدين ويوجب كراء المنزل ويعرض الكتان ويغير الالوان ويسخن الماء ويفسد اللحم ويورث الزكام ويعين السارق ويفضح العاشق الطارق وقال ابن المعتز فيه

يا سارق الانوار من شمس الضحى ما مثل نورك في الدجا منغص
امّا ضياء الشمس فيك فناقص واري زيادة حرها لم ينقص
لم يظفر التشبيه منك بطائل متسلخ بهقًا كوجه الابرص

الباب التاسع عشر والمائة في مدح الثغر

قد مدح الله تعالى المسافرين فقال وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وارحل اسمه بالسفر فقال فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وقال جل وعلا هو الذى جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور وفي الخبر سافروا تغنموا وتصحوا وفي نسخة تصحوا وتغنموا وفي التوراة ابن آدم جدد سفراً أجدد لك رزقا ولبعضهم

فسر في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار او تموت فتعذرا
فلا ترض من عيش بدون ولا تنم وكيف ينام الليل من كان معسرا

وقول العامة كلب جوال خير من اسد رابض ولبعضهم

أدور من المعالى منتهاها ولا ارضى بمنزلة دنية
فاما نيل غاية ما ارجى واما ان توسدنى المنية

ولآخر

ان كنت ترضى بالدنية منزلاً فالارض حيث حللتها لك منزل
فاذا عزمت على المعالى فانفرط عزماً كما عزم الرجال النزل

وقال آخر

واذا الديار تنكرت عن حالها فدع الديار وسارع التحويلا
ليس المقام عليك فرضاً واجباً في بلدة تدع العزيز ذليلا
واذا ابكيت على زمان قد مضى حتى يعود لتبكين طويلا

وقال احد الحكماء السفر احد اسباب المعاش التى بها قوامه ونظامه لان الله تعالى لم يجمع منافع الدنيا في ارض

بل فرقها واحوج بعضها الى بعض ومن فضله ان صاحبها
يرى من عجائب الامصار وبدائع الاقطار ومحاسن الآثار
ما يزيده علما ويفيده فهما بقدرة الله وحكمته ويدعوه الى
شكر نعمته ويسمع العجائب ويكتسب التجارب ويفتح المذاهب
ويجلب المكاسب ويشد الابدان وينشط الكسلان
ويسلي الاحزان ويطرد الاسقام ويشهي الطعام ويحط
سورة الكبر ويبعث على طلب الذكر وقال حاتم طي

اذا لزم الناس البيوت رايتهم عماة عن الاخبار خرق المكاسب

وقال ابن المعتز

اشقى من المسافر الى الامل من قعد في الناس عن العمل

وقال غيره

ليس ارتحالك تزداد الغنى سفرا بل المقام على بؤس هو السفر

وفي المبهج من آثر السفر على القعود فلا يبعد ان يعود مورق
العود وفيه ربما اسفر السفر عن الظفر وتعذر في الوطن قضاء الوطر

الباب العشرون والمائة في ذم السفر

في الحديث المرفوع ان المسافر ومتاعه على قلت الا ما وقى
الله وقيل لبعض الحكماء ان السفر قطعة من العذاب فقال
بل العذاب قطعة من السفر ونظمه من قال

ان العذاب قطعة من السفر يا رب فارددني الى دار الحضر

وكان الحجاج يقول لولا فرحة الاياب لما عذبت اعدائي الا بالسفر

وكان بعض الحكماء يقول المسفر والسقم والقتال ثلاثة لثلاث السفر سفينة الاذى والسقم حريق الجسد والقتال بيت المنايا وقيل السفر متعب مكرب والحديث يقصره وبسلي كربه وكان يقال طول السفر ملاله وكثرة المنى ضلاله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من وعثاء السفر ويقال خمسة يعذرون على سوء الخلق المريض والمسافر والصائم والمصاب والشيخ وفي المبهج رب سفر كتضعيفه اردت رب سفر كسقر

الباب الحادي والعشرون والمائة في مدح الغربة

من احسن ما قيل في ذلك قول الرقعي

اذا النار ضاق بها زندها ففسحتها في فراق الزناد

اذا صارم قر في غمده حوى غيره الفضل يوم الجلاد

وفي الاضطراب وفي الاغتراب منال المنى وبلوغ المراد

وكان يقال ليس بينك وبين بلدك نسب فخير البلاد ما حملك وجملك وقال بعض الحكماء اهجر وطنك اذا نبت عنه نفسك واوحش اهلك اذا كان في ايحاشهم انسك وقال آخر

فلأن تشرق او تغرب طالبا وتكون في الاقبال والادبار

خير واكرم بالفتى من عيشة ضنك يقوم بها على اقتار

وكان سهل بن مروان يقول لست ممن يقطع نفسه بصلة وطنه ومن مشهور ما ينشد قوله

لا يمنعنك خفض العيش في دعة ... نزوع نفس الى اهل واوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها ... اهلا باهل وجيرانا بجيران

وقال آخر

الفقر في اوطاننا غربة ... والمال في الغربة اوطان
والارض شيء كله واحد ... ويختلف الجيران جيران

وقال غيره

اذا نلت في ارض معاشا وثروة ... فلا تكثرن فيها النزاع الى الوطن
فما هي الا بلدة مثل بلدة ... وخيرهما ما كان عونا على الزمن

ولابي فراس

والمرء ليس ببالغ في ارضه ... كالصقر ليس بصائد في وكره

وقال الطريفي

ارى وطني كعش لي وكن ... اسافر عنه في طلب المعاش
ولولا ان كسب القوت فرض ... لما برح الفراخ من العشاش

وللبستي

لئن تنقلت من دار الى دار ... وصرت بعد مقام رهن اسفار
فالحر حر عزيز النفس حيث اتى ... والشمس في كل برج ذات انوار

الباب الثاني والعشرون والمائة في ذم الغربة

كان يقال النقلة مثله والغربة كربة والفرقة حرقة وقال بعض الحكماء الغريب كالغرس الذي زايل ارضه وفقد شربه[٢] فهو ذاو لا يزهر وذابل لا يثمر ويقال

[٢] شربه اي جماعته

الغريب

الغريب كالوحش النائى عن وطنه فهو لكل رام رميه ولكل سبع فريسه وقال آخر الغريب كاليتيم العظيم الذى ثكل ابويه فلا ام ترأمه ولا اب يرأف عليه ويقال عسرك فى بلدك خير من يسرك فى غربتك ونظمه من قال

لقرب الدار فى الاقتار خير
من العيش الموسع فى اغتراب

وكان يقال اذا كنت فى بلد غيرك فلا تنس نصيبك من الذل

ولبعضهم

يا نفس ويحك فى التغرب ذلة
فتجرعى كأس الاذى وهوان

واذا نزلت بدار قوم دارهم
فلهم عليك تعزز الاوطان

وقال آخر

ما من غريب وان ابدى مكابرة
الا تذكر بعد الغربة الوطنا

وقال النابغة

فحلى فى ديارك ان قوما
متى يدعوا ديارهم يهونوا

وقال الاعشى

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى
مصارع مظلوم مجرا ومسحبا

وتدفن منه الصالحات وان يسئ
يكن ما اساء النار فى رأس كوكبا

وقال آخر

ومن ينأ عن دار العشيرة لم يزل
عليه رعود جمة وبروق

وقال العتابى

فيا ابن ابى لا تغربن ان غربتى
ستقضى بكفى الضيم اذ لحقا

وقال آخر

وان اغتراب المرء من غير خلة ولاهمة يسمو لها لعجيب
وحسب الفتى ذلا وان ادرك الغنى ونال ثراء ان يقال غريب

وقال آخر

طلب المعاش مفرق بين الاحبة والوطن
ومصير جلد الرجال الى الضراعة والوهن

وقال البستي

لا يعدم المرء كنا يستكن به ومنعة بين اهليه واصحابه
ومن نأى عنهم قلت مهابته كالليث يحقر لما غاب عن غابه

الباب الثالث والعشرون والمائة في مدح الفراق

قال بعض الحكماء في الفراق مصافحة التسليم ورجاء الاوبه والسلامة من السآمه وعمارة القلب بالشوق والانس بالمكاتبه قال ابو تمام

وليست فرحة الاوبات الا بموقوف على ترح الوداع

وكتب بعض الكتاب جزى الله الفراق خيرا فما هو الا زفرة وعبرة ثم اعتصام وتوكل ثم تأميل وتوقع وقبح الله التلاق فانما هو مسرة لحظه ومساءة ايام وابتهاج ساعه واكتئاب زمان وقال آخر انى لاكره الاجتماع ولا اكره الفراق لان مع الفراق غمة يخففها توقع اسعاف بتأميل الاوبة والرجعى ومع الاجتماع محاذرة الفراق وقصر السرور قال الشاعر

ليس عندي سخط النوى بعظيم فيه غم وفيه كشف غموم

من يكن يكره الفراق فانى ... اشتهيه لِلَذة التسليم
ان فيه اعتناقة لوداع ... وانتظارا عتناقة لقدوم

وقال بعض الظرفاء من الكتاب ان قلت انى لم اجد للرحيل المًا وللبين حرقة لقلت حقًا لانى نلت به من العناق وأنس اللقاء ما كان معدوما ايام الاجتماع ومما يليق به قول البحترى

فاحسن بنا والدمع بالدمع واكف ... تمازجه والخد بالخد ملصق
وقد ضمنا وشك الفراق ولفنا ... عناق على اعناقنا ثم ضيق
فلم تر الا مخبرا عن صبابة ... بشكوى والا عبرة تترقرق
ومن قبل قبل التشكى وبعده ... تكاد بها من شدة اللثم نشرق
ولو فهم الناس التلاقى وحسنه ... لحبب من اجل التلاقى التفرق

وقال غيره

آه من عبرة دمعة المشتاق ... ما الذ البكاء عند الفراق
لذة الدمع عند بين حبيب ... كعناق الحبيب وقت التلاقى

الباب الرابع والعشرون والمائة فى ذم الفراق

كان يقال ما خلق الفراق الا لتعذيب العشاق ويقال فراق الاحباب سقام الالباب وقال آخر حق الفراق ان تطير له القلوب وتطيش معه العقول وتطيح عليه النفوس ويقال فراق الحبيب يشيب الوليد ويذيب الحديد ويقال هول السياق اهون من الفراق وقال النظام

لو كانت للفراق صورة لراعت القلوب وهدت الجبال

وبجمر الغضا اهون توهجا من ناره ولو عذب الله اهل النار بالفراق لاستراحوا الى ما قبله من العذاب وقال الشاعر

لو ان مالك عالم بجوى الهوى ... وفعاله باضالع العشاق

ما عذب الكفار الا بالهوى ... واذا استغاثوا اغاثهم بفراق

وقال آخر

لو دام مرتاد المنية لم يجد ... غير الفراق الى النفوس دليلا

انى نظرت الى الفراق فلم اجد ... للموت لو فقد الفراق سبيلا

فاخذه ابو الطيب فقال

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت ... لها المنايا الى ارواحنا سبلا

ولابى العباس احمد بن ابراهيم بن احمد الضبي

لا تركنن الى الفراق ... فانه مر المذاق

فالشمس عند غروبها ... تصفر من الم الفراق

وقال بعض البلغاء لا غرو ان يفرق الفراق بين الروح والبدن ويترك المبتلى به والمشتاق في قرن

الباب الخامس والعشرون والمائة في مدح البكاء

كان يوسف عليه السلام اذا برح به الحزن على ابيه دخل وصب عبرته ثم خرج فصل لابى بكر الخوارزمي ان الفجيعة اذا لم تحارب بجيش من البكاء ولم يخفف من اثقالها بشيء من الاشتكاء تضاعف داؤها وزاد عياؤها وعز دواؤها فصل لابى اسحاق الصابي ان في اسبال العبرة واطلاق الزفرة

والاجهاش والنشيج واعلان الصياح والضجيج تنفسا من رحاء القلوب وتخفيفا من اثقال الكروب

وقال امرء القيس

وان شفائى عبرة ان سفحتها فهل عند رسم دارس من معول

وله

وبكيت ليلة هجرها من وصلها وجرت مدامع اعينى كالعندم
ابكى واسمع ما ادمعى فى جيدها من عادة الكافور امساك الدم

وقال آخر

وما فى الارض اشقى من محب وان وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا ابدا حزينا لخوف تفرق او لاشتياق
فيبكى ان نأوا شوقا اليهم ويبكى ان دنوا خوف الفراق

غيره

لولا مدامع عشاق ولوعتهم لبان فى الناس عز الماء والنار
فكل نار فمن انفاسهم قدحت وكل ماء فمن دمع لهم جارى

وقال ذو الرمة

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد او يشفى نجى البلابل

وقال ابن الرومى فى ذكر العلة فى تخفيف الهم بالبكاء

الدمع فى العين لا نور ولا نظر ولا محالة من معنى له خلقا
ولم اجد ذلك المعنى وحققه الا البكاء اذا ما طارق طرقا

وقال ايضا رحمه الله

ابك فمن انفع ما فى البكا ان البكاء لحزن القلب تحليل

وهواذا انت تأملته حزن على الخدين محلول

فصل لابي الحسن ابن ابي القاسم القاشاني قد شفيت غليلي بما استدررته من اسراب الدموع المتحيره وخففت عنى بعض البرحاء بما امتريته من اخلافها المتحدره

الباب السادس والعشرون والمائة في ذم البكاء

قال بعض الحكماء لبعض الملوك وقد رآه في مصيبة يبكي ليس يليق بالسلطان ما هو عادة الصبيان والنسوان وكان محمد بن عبد الملك الزيات يقول ان البكاء من خور الطبيعة وضعف الغريزة وترك البكاء في الخطوب النزل من اخلاق القروم البزل ولذلك قال الشاعر

يبكى علينا ولا نبكى على احد لنحن اغلظ اكبادا من الابل

وقال ابو تمام في التجلد وترك البكاء عند المصيبة وقد احسن

خلقنا رجالا للتجلد والاسى وتلك الغوانى للبكا والمآتم

وللبحترى

ولعمرى ما العجز عندى الا ان تبيت الرجال تبكى النساء

وقال ابن الرومى في الرزايا وترك البكاء

ترحل من هويت وكل شيء مستكشف او سيغرب حين يمسى

وما الهاك عن ذكرى حبيب كعدك امس يوما بعد امس

ابت نفسى البكاء لرزء شيء كفى شجوا النفس رزء نفسى

ءاجزع وحشة لفراق الف وقد وطنتها لحلول رمسى

رأيت الدهر يجزع ثم يأسو   فيوهي أو يعوض أو ينسي

الباب السابع والعشرون والمائة في مدح الرؤيا

قال عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم في قوله تعالى وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث يعني تأويل الرؤيا وفي الخبر المرفوع ذهبت النبوة وبقيت المبشرات قيل وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له ثم قرأ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة وفي الحديث ان الرؤيا جزء واحد من ستة واربعين جزأ من النبوة ويقال الرؤيا الصالحة قرة للعين وقوة للظهر والهند تقول من رأى رؤيا صالحة فكان كمن لم ينم ومن لم ينم فقد زيد في عمره لان النوم اخ الموت وقال بعض العلماء الرؤيا الصالحة بشارة وفي العمر زيادة وقال آخر الرؤيا الصالحة هي البشرى بالنعمى وقال بعض الظرفاء مرحبا بالرؤيا فانها تجمع بين الحبيبين وان كان بينهما بعد المشرقين

الباب الثامن والعشرون والمائة في ذم الرؤيا

احسن ما قيل في ذلك قول بعض المجربين لعن الله الرؤيا فخيرها غائب وشرها حاضر واصدقها ما يوجب الغسل وقال ابن بسام

أرى في منامي كل شيء يسرني ... ورؤياي بعد النوم إذ هي واقع
فإن كان خيراً كان أضغاث حالم ... وإن كان شراً جاء في قبل أصبع

وفي معناه قول الشاعر

وأحلم في المنام بكل خير ... فأصبح لا أراه ولا يراني
وإن أبصرت شراً في منامي ... أتاني الشر من قبل الأذان

وقال داود المصاب رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل رأيت كأني أعطيت بدرة فمن ثقلها أحدثت في سراويلي فانتبهت فرأيت الحدث ولم أر البدرة

وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان للأحنف العكبري

قيل رؤيا المنام عندك حق ... قلت هيهات كل ذاك مجاز
ليس يعطى أنه يصح له الأمر ... فكيف المضغط النحاز

وحكى ابن سيرين أن رجلاً رأى في المنام كأن له غنماً تطلب منه بعشرة عشرة وليس يبيعها فلما انتبه وفتح عينيه لم ير شيئاً فغمضهما ومد يديه وقال هاتوا خمسة خمسة

الباب التاسع والعشرون والمائة في مدح الهدية

في الخبر المرفوع تهادوا تحابوا وفيه تصافحوا فإن التصافح يذهب غل الصدور وتهادوا فإن الهدية تسل السخيمة

وقال الشاعر

إن الهدية حلوة ... كالسحر تختلب القلوبا
تدني البعيد من الهوى ... حتى تصيره قريبا

وتعيد معتقد العداوة بعد نفرته حبيبا

وقال ابن عائشة الهدية سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وادب الملوك وعمارة المودة بين الاخوان وكان يقال اهدوا للولاة فانهم ان لم يقبلوا احبوا وكان الفضل بن سهل ذو الرياستين يقول ما ارضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلت السخائم ولا رفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقي المحذور بمثل الهدية ومن احسن ما قيل في الاهداء الى الملوك قول احمد بن يوسف المأموني

على العبد حق فهو لابد فاعله وان عظم المولى وجلت فواضله

الم ترنا نهدى الى الله ماله وان كان عنه ذا غنى فهو قابله

وكتب بعض الكتاب الى صديق له وجدت المودة منقطعة مادامت الحشمة عليها مسلطة وليس يزيل سلطان الحشمة الا المؤانسة ولا تقع المؤانسة الا بالمهاداة والملاطفة وقد كتب ابو العيناء الى بعض الوزراء قد بعثت الى الوزير باكورة عنب فان كنت سبقت المهدين لها فلي فضل السبق وان كنت مسبوقا فلي فضل النية ويقال من قدم هديته نال امنيته ومن قدم المؤنة يظفر بالمعونة وقال بعض السلف نعم الشيء الهدية امام الحاجة وقال آخر الهدية تفتح الباب المغلق وقال آخر الهدايا تذهب الشحنا والهدية رزق الله

خ فضائله

شعر
وان كان لم يهد [illegible] معتذرا [illegible]
لم يقبل الله يوما [illegible]
فالله يجزى على مقدار طاقته
والنفل يجزى [illegible]

فمن اهدى اليه فليقبله وقال بعض العلماء العظم في
خطر الهدية وجلالة قدرها على وجه الدهر ما قالت ملكة سبأ
واني مرسلة اليهم بهدية فنظرة بم يرجع المرسلون وقال الشاعر
للهدايا من القلوب مكان وحقيق يحبها الانسان
وقال الشاعر
اذا دخل الهدية دار قوم تطايرت العداوة من كواها

الباب الثلاثون والمائة في ذم الهدية

اهدى الى عمر بن عبد العزيز هدية فردها فقيل له ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها فقال كانت له الهدية
هدية وهي لنا رشوة وقد لعن الله الراشي والمرتشي والرايش
وقال بعض السلف الهدية العامل غلول وفي عمل
السلطان رشوة واهدى الى دهقان هدية فكرمها واظهر
الجزع فعاتبه بعض من صاحبه فقال لئن كان ابتدأني بها
انه ليدعوني الى ان اتقلد منه منة ولئن كافأني على معروف
لي عنده انه يسألني اخذ ثمن ذلك فمن اي هذين لا اجزع

بين هو الذي قالم

الباب الحادي والثلاثون والمائة في مدح الدين

كانت عائشة رضي الله تعالى عنها تستدين من غير حاجة
فقيل لها في ذلك فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من كان عليه دين وفي نيته قضاؤه فان الله معه حتى

يقضيه

بقضيه فانا احب ان يكون الله معى وقال جعفر
ابن محمد رضى الله عنهما المستدين تاجر الله فى ارضه وفى الحديث
مكتوب على باب الجنة القرض بثمان عشرة والصدقة بعشر
امثالها قيل ولم ذلك يا رسول الله قال عليه السلام لان
الصدقة ربما وقعت فى يد غنى عنها وصاحب القرض
لا يستدين الا من حاجة وضرورة دخل عتبة بن عمر على
خالد القسرى فقال خالد يعرض به ان ههنا رجالا اذا
فنيت اموالهم استدانوا فقال عتبة ان رجالا تكون
اموالهم اكثر من مروتهم فلا يدانون ورجالا لا تكون
مروتهم اكثر من اموالهم فيدانون على سعة الله فخجل
خالد وقال انك منهم وما علمت ويقال كثرة الدين
من علامات المفضلين وقال بعض السلف
لان اقرض مالى مرتين احب الى من ان اتصدق به مرة
واحدة وفى الخبر من اراد ان يأخذ دينارا وهو ينوى
قضاءه بارك الله فيه واعانه على قضائه

الباب الثانى والثلاثون والمائة فى ذم الدين

فى الخبر لا وجع كوجع العين ولا غم كغم الدين
وقال عليه السلام الدين شين الدين وكان يقال
صاحب الدين ذليل بالنهار ومهموم بالليل وقال
بعض السلف الدين غل الله فى ارضه فاذا اراد الله ان يذل

عبداً جعل منه طوقاً فى عنقه وقال العتبى الدين عقلة الشريف وسأل عمرو بن عبيد عن صديق له فقيل قد توارى من دين ركبه فقال ذاداه طالما وفد الكرام وقال عبد الملك بن صالح ما استرق الاحباب بمثل الدين ومن احسن ما قيل فى هذا الباب قول الخباز البلدى

اذا استثقلت او ابغضت شخصا وسرك بعده حتى التنادى

فشرده بقرض دريهمات فان القرض مقراض الوداد

وقال ابن المعتز كثرة الدين تصير الصادق كاذبا والمنجز مخلفا

الباب الثالث والثلاثون والمائة فى مدح الشباب

فى الحديث المرفوع اوصيكم بالشبان خيراً فانهم ارق افئدة ان الله بعثنى بشيراً ونذيراً فحالفنى الشبان وخالفنى الشيوخ ثم قرأ فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكان عطاء الخراسانى يقول الحوائج الى الشبان اسهل منها الى الشيوخ الم تر ان يوسف عليه السلام قال لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقال ابوهم سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم وقال الصولى فى كتاب فضل الشباب على الشيب الذى الفه للمقتدر ان الشيب لا يقدم مؤخراً ولا يؤخر مقدماً بل ربما عدل بجلائل الامور ومهمات الخطوب عن المشايخ الى الشبان لاستقبال ايامهم وسرعة حركاتهم وحدة اذهانهم وتيقظ طباعهم

لانهم على ابتناء المجد احرص وانبه اصبا واحوج وقد اخبر الله تعالى عن اعطائه يحيى بن زكرياء عليهما السلام الحكمة فى سن الصبى بقوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وذكر الفتية فى كتابه العزيز فى غير ما موضع فقال اذ اوى الفتية الى الكهف وقال انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم وقال واذ قال موسى لفتاه آتنا غداءنا وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة واطيب العيش اوائله كما ان اطيب الثمار بواكيرها وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ما بعث الله نبيا من الانبياء الا شابا ولا اوتى العلم عالم الا وهو شاب ثم تلى قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقال الجاحظ فى قول ابى العتاهية

ان الشباب حجة التصابى روائح الجنة فى الشباب

معنى كمعنى الطرب الذى تشهد بصحته القلوب وتعجز عن صفته الالسن ومن احسن ما قيل فى مدح الشباب والتأسف عليه قول محمد بن حازم الباهلى

لا حين صبر فخل الدمع ينهمل فقد الشباب بيوم المرء متصل
لا تكذبن فما الدنيا باجمعها من الشباب بيوم واحد بدل

ومما انشد منصور النميرى الرشيد قوله

ما تنقضى حسرة منى ولا جزع اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتتنى بشرته صروف دهر وايام لها خدع

ما كنت أوفى شبابي كنه عزته ... حتى مضى فاذا الدنيا له تبع

بكى الرشيد حتى اخضلت لحيته ثم قال يا نمير لا خير في دنيا لا يعطى فيها برد الشباب ومن احاسن هذا الباب قول ابن الرومي

لا تلح من يبكي شبيبته ... الا اذا لم يبكها بدم

لسنا نراها حق رؤيتها ... الا اوان الشيب والهرم

ولرب شيء لا يبينه ... وجدانه الا مع العدم

كالشمس لا تبدو فضيلتها ... حتى تغشى الارض بالظلم

وله ايضا في نسيب قصيدة

ايا برد الشباب لكنت عندي ... من الحسنات والقسم الرغاب

لبستك برهة لبس ابتذال ... على علمي بفضلك في الثياب

ولو ملكت صونك فاعلمه ... لصنتك في الحريز من العياب

ولم البسك الا يوم فخر ... ويوم زيارة الملك اللباب

قال الشيخ لو قال لصنتك في الفؤاد من العياب لكان افلح

الباب الرابع والثلاثون والمائة في ذم الشباب

يقال الشباب مطية الجهل ومظنة الذنوب وشعبة من الجنون وقال النابغة

وان يك عامر قد قال جهلا ... فان مطية الجهل الشباب

وقال الاعشى

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها ... ان الشباب جنون برؤه الكبر

ويقال

ويقال سكر الشباب اشد من سكر الشراب وقال
ابن المعتز جاهل الشباب معذور وعالمه محقور وكان يقول
نعوذ بالله من ترهات الشبان ونزغات الشيطان وقال
ابو الطيب محمد بن حاتم المصعبي واجاد

لم اقل للشباب فى كنف الله ولا ستره غداة استقلا
زائرا لم يزل مقيما الى ان سوّد الصحف بالذنوب وولّى

الباب الخامس والثلاثون والمائة فى مدح الشيب

فى الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نورى والنار خلقى
وانا استحيى ان احرق نورى بنارى وكان يقال
الشيب حلية العقل وسمة الوقار وقال دعبل الخزاعى

اهلا وسهلا بالمشيب فانه سمة العفيف وهيئة المتحرج
وكان شيبى نظم در زاهر فى تاج ذى ملك اغر متوج

وقال طريح بن اسماعيل الثقفى

والشيب ان يحلل فان وراءه عمرا يكون خلاله متنفس
لم ينتقص منى المشيب قلامة ولنحن حين بدا ألبّ واكيس

وكان يقال الشيب زبدة مخضتها الايام وفضة سبكتها
التجارب وكان بعض الحكماء يقول اذا شاب العاقل سرى
فى طريق الرشد بمصباح الشيب ووصف بعض البلغاء
رجلا شاب وارعوى عن مجالس الشباب فقال ذاك قد عصى
شياطين الشباب واطاع ملائكة الشيب وقال على

رضى الله عنه مشهد الشيخ خير من مشهد الغلام وقال ابن المعتز عظم الكبير فانه عرف الله قبلك وارحم الصغير فانه اغر بالدنيا منك وكان يقال الشيخ يقول عن عيان والشب يقول عن سماع وقال ابو تمام

فلا يروعنك ايماض القتير به فان ذاك ابتسام الرأى والادب

وقال ابو السمط

ان المشيب رداء العقل والادب كما الشباب رداء اللهو والطرب

وقال دعبل

احب الشيب لما قيل ضيف كحبى للضيوف النازلينا

وقال البحترى

وبياض البازى اصدق حسنا ان تأملت من سواد الغراب

وله

عذلتنا فى عشقها ام عمرو هل سمعتم بالعاذل المعشوق
ورأت لمة الم بها الشيب فريعت من ظلمة فى شروق
ولعمرى لولا الأقاحى لابصرت لانيق الرياض غير انيق
وسواد العيون لو لم يملح ببياض ما كان بالموموق
اى ليل يبهى بغير نجوم وسحاب يندى بغير بروق

وقال ابن الرومى

نذير شيب الفتى وليس عجيبا ان ترى النور فى القضيب الرطيب

والبديع الهمدانى فصل فى مدح الشيب وذم الشباب جزى الله الشيب خيرا فانه اتاه ولا زاد الشباب فانه هناه

وبئس الداء الصبي وليس دواؤه إلا انقضاؤه وبئس المثل النار ولا العار ونعم الراكضان الليل والنهار وأظن الشباب والشيب لو مثلا لكان الأول كلبا عقورا والآخر شيخا وقورا ولاشتعل الأول نارا واشتهر الآخر نورا فالحمد لله الذي بيض القار وسماه الوقار وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد إن السعيد من شابت لمته ولم تخص بالبياض لحيته

أيضا في الشيب

يا من يعلل نفسه بالباطل ... نزل المشيب فمرحبا بالنازل
إن كان ساءك طالعات بياضه ... فلقد كساك بذاك ثوب الفاضل
لا تبكين على الشباب وفقده ... لكن على الفعل القبيح الحاصل
يا غافلا عن ساعة مقرونة ... بنوادب وصوارخ وثواكل
قدم لنفسك قبل موتك صالحا ... فالموت أسرع من نزول الهاطل
حتى م تسمعك لا يعي لمذكر ... وصميم قلبك لا يلين لعاذل
تبغي من الدنيا الكثير وإنما ... يكفيك من دنياك زاد الراحل
آي الكتاب تهز سمعك دائما ... وتصم عنها معرضا كالغافل
كم للإله عليك من نعم ترى ... ومواهب وفوائد وفواضل
كم قد أنالك من سوابغ طوله ... فاسأله عفوا فهو عفو شامل

الباب السادس والثلاثون والمائة في ذم الشيب

قال عبيد بن الأبرص الشيب شين لمن يشيب وقال قيس بن عاصم الشيب خطام المنية وقال أكثم بن صيفي

الشيب عنوان الموت وقال الحجاج الشيب بريد الموت وقال مالك بن انس الشيب توأم الموت وقال العتبي الشيب مجمع الامراض وقال العتابي الشيب نذير المنية وقال غيره الشيب شر العمائم وقال محمود الوراق الشيب غمام قطره الهموم وقال ابن المعتز الشيب اول مواعيد الفنا وقال القاسم الشيب ناعي الشباب ورسول البلا وقال غيره الموت ساحل الحياة والشيب سفينة تقرب من الساحل وقال ابن عائشة الشيب قناع الموت وقال يونس النحوي الشيب وكل عيب وقال ابن شكلة الشيب احد الموتين ومن احسن ما قيل في ذم الشيب قول ابي تمام

غدا الشيب مختطا بفودي خطة ... طريق الردى منها الى النفس مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى ... وذو الالف يقلى والجديد يرقع
له منظر في العين ابيض ناصع ... ولكنه في القلب اسود اسفع
ونحن نرجيه على الكره والرضى ... وانف الفتى من وجهه وهو اجدع

وقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

تضاحكت لما رأت ... شيباً تلألأ غرره
قلت لها لا تعجبي ... انبيك عندي خبره
هذا غمام للردى ... ودمع عيني مطره

وقال آخر

من شاب قد مات وهو حي ... يمشي على الارض مشي هالك

لو كان معمر الفتى حسابا لكان في شيبه كذلك

وللشافعي رضي الله عنه

ولذة عيش المرء قبل مشيبه وقد فنيت نفس تولى شبابها
اذا اسود جلد المرء وابيض شعره تكدر من ايامه مستطابها

غيره

سألت من الاطبة ذات يوم طبيبا عن مشيبي قال بلغم
فقلت له على غير احتشام لقد اخطأت فيما قلت بل غم

الباب السابع والثلاثون والمائة في مدح الخضاب

كان يقال الخضاب احد الشبابين ويقال الخضاب تذكرة الشباب ومن احسن ما قيل في مدحه

الشيب موتي ولكن في امانته محيا ليال قليلات وايام

وقال ابن المعتز

وقالوا النصول مشيب جديد فقلت الخضاب شباب جديد
اساءة هذا باحسان ذا فان عاد ذاك فهذا يعود

وقال آخر

للضيف ان يقرى ويعرف حقه فالشيب ضيفك فاقره بخضاب

واظرف ما قيل في الخضاب قول عبدان الاصفهاني

في مشيبي شماتة لعداتي وهو ناع منغص لحياتي
ويعيب الخضاب قوم وفيه لي أنس الى حضور وفاتي
لا ومن يعلم السرائر مني مابه رمت خلة الغانيات

انما رمت ان يغيب عني ... ما ترينيه كل يوم مرآتي
وهو ناع الى نفسي ومن ذا ... سرّه ان يرى وجوه النعاة

الباب الثامن والثلاثون والمائة في ذم الخضاب

وقال بعض السلف لا تنكروا لرجل خضب الشيب هب انك خضبت الشيب فكيف تخضب سائر آثار الكبر وقال ابن المعتز الخضاب من شهود الزور وقال ابن الرومي الخضاب حداد الشباب وقال آخر الخضاب كفن الشيب ولبعضهم

يا خاضب اللحية ما تستحي ... تشارك الرحمن في صبغته
ثمّ شيء شاع بين الورى ... انّ الفتى يكذب في لحيته

غيره

قالت اراك خضبت الشيب قلت لها ... سترته عنك يا سمعي ويا بصري
فقهقهت ثم قالت ان ذا عجب ... تكاثر الغش حتّى صار في الشعر

وقال محمود الورّاق

يا خاضب الشيب الذي ... في كلّ ثالثة يعود
ان النصول اذا بدى ... فكأنه شيب جديد
فله بديهة روعة ... مكروهها ابدا عتيد
فدع المشيب كما اراد ... فلن يعود كما تريد

وقال آخر

خضبت شيبي لتخفى ... وكان ذاك لعلّة
فقيل شيخ خضيب ... فزاد في الطين بلّة

وقال آخر

يا خاضب الشيب بالحناء يستره   سل الاله له سترا من النار

وقال ابو الطيب المتنبي

ومن هوى كل ما كانت مموهة   تركت لون مشيبي غير مخضوب
ومن هوى الصدق في قولي وعادته   رغبت عن شعر في الوجه مكذوب

وقال غيره

تولى الجهل وانقطع العتاب   ولاح الشيب وافتضح الخضاب
لقد ابغضت نفسي في مشيبي   فكيف تحبني الخود الكعاب

الباب التاسع والثلاثون والمائة في مدح المرض

حدث الصولي عن ابي ذكوان قال سمعت ابراهيم بن العباس يصف الفضل بن سهل وتقدمه ويصف علمه وكرمه فكان مما حدثني به انه قال برئ الفضل من علة مرضت له فجلس للناس وهنؤه بالعافية فلما فرغوا من كلامهم قال الفضل ان في المرض لنعما لا ينبغي للعقلاء ان يجحدوها منها تمحيص للذنوب وتعرض للثواب والصبر وايقاظ من الغفلة واذكار بالنعمة الموجودة في الصحة ورضا بما قدر الله وقضاه واستدعاء للتوبة وحض على الصدقة فحفظ الناس كلامه ونسوا ما قال غيره وكان يقال مرارة السقم توجد حلاوة العافية وفي الخبر ان المريض يخرج من مرضه نقيا من الذنوب كيوم ولدته امه

وفى الخبر ايضا ان المريض لتتساقط خطاياه كما يتساقط الورق من الشجر فى الخريف وكان طاوس يقول دعاء المريض مستجاب اما سمعت قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه والمريض مضطر جدا وفى خبر آخر حمى ليلة كفارة سنة وقال بعض العلماء رب مرض يكون تمحيصا لا تنغيصا وتذكيرا لا تنكيرا وادبا لا غضبا وقال ابن المعتز قلت لبعضهم فهنانى وانا عليل وقد سألنى عائد بحضرته عن حالى فقال كيف انت ترانى ان قلت فى عافية كنت كاذبا فقال لا قد قال بعض الصالحين اذا اعلك الله فى جسدك فقد اصحك من ذنوبك

الباب الاربعون والمائة فى ذم المرض

كان يقال الصحة تشبه الشباب والمرض يشبه الهرم وقيل لا صديق ارفق من الصحة ولا عدو اعدى من المرض وقال آخر شيئان لا يعرفان الا بعد ذهابهما الصحة والشباب وقال بزرجمهر ان كان شئ فوق الموت فهو المرض وان كان شئ مثله فهو الفقر وان كان شئ فوق الحياة فهو الصحة وان كان شئ مثلهما فهو الغنى وقال ابن المعتز المرض حبس البدن كما ان الهم حبس الروح وقال بشار

انى وان كان جمع المال يعجبنى لايعدل المال عندى صحة الجسد
المال زين وفى الاولاد مكرمة والسقم ينسيك ذكر المال والولد

وللمتنبى

واذا الشيخ قال أف فما مل حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب فاذا وليا عن المرء ولى

الباب الحادى والاربعون والمائة فى مدح الموت

فى الحديث المرفوع الموت راحة وقال بعض السلف ما من مؤمن الا والموت خير له من الحياة لانه ان كان محسنا فالله يقول وما عند الله خير وابقى وان كان مسيئا فانه تعالى يقول ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقال ميمون بن مهران بت ليلة عند عمر بن عبد العزيز فكثر بكاؤه ومسئلته الله الموت فقلت يا امير المؤمنين تسأل ربك الموت وقد صنع الله على يديك خيرا كثيرا احييت سننا وامت بدعا وفى بقائك راحة للمسلمين فقال افلا اكون كالعبد الصالح يوسف بن يعقوب عليهما السلام حين اقر الله عينه وجمع له امره قال رب قد اتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين وقالت الفلاسفة لايستكمل الانسان حد الانسانية الا بالموت لان حد الانسان انه حى ناطق ميت وقال

بعض السلف الصالح اذا مات استراح والطالح اذا مات استريح منه وقال آخر رب موت كالحياة وقال الشاعر

وما الموت الا راحة غير انها — من المنزل الفاني الى المنزل الباقي

وقال آخر

جزى الله عنا الموت خيرا فانه — ابر بنا من كل بر وارأف
يعجل تخليص النفوس من الاذى — ويدني من الدار التي هي اشرف

وقال منصور الفقيه

قد قلت اذ مدحوا الحياة فاسرفوا — في الموت الف فضيلة لا تعرف
منها امان لقائه بلقائه — وفراق كل معاشر لا ينصف

وقال ابو احمد بن ابي بكر الكاتب

من كان يرجو ان يعيش فانني — اصبحت ارجو ان اموت فاعتقا
في الموت الف فضيلة لو انها — عرفت لكان سبيله ان يعشقا

وقال ابن لنكك البصري

نحن والله في زمان غشوم — لو رأيناه في المنام فزعنا
اصبح الناس فيه من سوء حال — حق من مات منهم ان يهنا

الباب الثاني والاربعون والمائة في ذم الموت

في الحديث المرفوع قال صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات فانه ما ذكر في قليل الا كثره ولا في كثير الا قلله اي ما ذكر في كثير من العمل الا كثره لان تفكر ساعة خير من عمل ستين سنة ولا في كثير في الامل الا قلله اي باعتبار ما ينشأ عنه من تقصيرهم

والعزائم ولكن حجاب الغفلة وطول الامل شغل معظم الخلق قد
ونحن في غفلة عما يراد بنا   ننسى لشقوتنا من ليس ينسانا

ولبعضهم

وما هذه الأيام الا صحائف   يؤرخ فيها ثم يمحى ويمحق
ولم ار في دهري كدائرة المنى   توسعها الآمال والعمر ضيق

وفي بعض الآثار عن النبي المختار الامل رحمة من الله لأمتي

وقال الشاعر

يا موت ما اجفاك ما نازلا   تنزل بالمرء على رغمه
تستلب العذراء من خدرها   وتأخذ الواحد من امه

وقال آخر

وكل ذي غيبة يؤب   وغائب الموت لا يؤب

وقال بعضهم الناس في الدنيا اغراض تنتضل فيهم سهام المنايا وقال ابن المعتز الموت كسهم مرسل اليك وعمرك بقدر سفره نحوك وقال بعض السلف الموت اشد ما قبله واهون ما بعده ونظر الحسن الى ميت يدفن فقال ان شيئا هذا اوله لحقيق ان يخاف آخره وان شيئا هذا آخره لحقيق ان يزهد اوله وسئل بعض الفلاسفة عن الموت فقال مفازة من ركبها اضل خبره قال الشيخ يعني اخفى خبره وعفى اثره

وقال المتنبي

اذا ما تأملت الزمان وصرفه   تيقنت ان الموت ضرب من القتل
وما الموت الا سارق دق شخصه   يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

وقال ايضاً

نحن بنو الموتى فما بالنا ... نعاف ما لا بد من شربه
يموت راعي الضأن في جهله ... موتة جالينوس في طبه

وقال ابن المعتز كان من غاب لم يشهد ومن مات لم يولد

وقال ايضاً الميت يقل الحسد له ويكثر الكذب عليه

الباب الثالث والاربعون والمائة في مدح السواد

احسن ما قيل فيه قول ابي يوسف القاضي وقد جرى بين يدي الرشيد ذكر السواد من بين الالوان يا امير المؤمنين من فضائل السواد انه لم يكتب كتاب الله الا به حتى كتاب الله تعالى وكان يقول النور في السواد يعني سواد الناظر وقد اكثر الشعراء في مدح السواد ووصفه فمن احاسنه قول ابي حفص في جارية له

اشبهك المسك واشبهته ... قائمة ان كنت او قاعدة
لا شك اذ لونكما واحد ... انكما من طينة واحدة

وقال ابن محمد العبسي

ان سعدى والله يكلأ سعدى ... ملكت بالسواد رق سوادي
اشبهت ناظري وحبة قلبي ... فهي في العز ناظري وفؤادي
لن يرى الناظرون شيئاً وان ... اشرق حسناً الا بنور السواد

وقال بعض الكتاب في غلام اسود

قالوا عشقت من البرية اسوداً ... فهلا علقت باضعف الاسباب
فاجبتهم ما في البياض فضيلة ... واري السواد نهاية الطلاب

أهوى السواد لان شيبى ابيض ... يردى الفتى وأحب لون شبابى
وكذاك فى الكافور برد قاطع ... والمسك اصبح سيد الاطياب
وبه يزين كف كل خريدة ... وبه تتم صناعة الكتاب
والله البس اهل بيت محمد ... لون السواد فكف عنك عتابى

وقال بعض الظرفاء

يكون الخال فى الخد القبيح ... فيكسوه الظرافة والجمالا
فكيف يلام مشغوف بمن قد ... يراه كله فى العين خالا

وقال الصابى فى غلام اسود

لك وجه كأنما خضبته ... سود قلب عن التصبر خالى
فيه معنى من البدور ولكن ... نفضت صبغها عليه الليالى
لم يشنك السواد بل زدت حسنا ... انما يلبس السواد الموالى

لطيفة قيل ان هارون الرشيد جلس ذات يوم وبين يديه جاريتان احدهما سوداء والاخرى بيضا فتعاتبتا الجاريتان وتنادمتا ثم ان كل واحدة منهما انشدت شعرا تمدح نفسها وتذم صاحبتها فانشدت السوداء تقول

الم تر ان المسك لاشئ مثله ... وان بياض الجير حمل بدرهم
وان سواد العين لاشك نورها ... وان بياض العين لاشئ فافهم

فاجابتها البيضاء وقالت

الم تر ان الدر لاشئ فوقه ... وان سواد الفحم حمل بدرهم
وان الوجوه البيض تدخل جنة ... وان الوجوه السود اهل جهنم

وان بياض العين يعمى بغير ... وان سواد العين لا يعمى بانهم

الباب الرابع والاربعون والمائة في ذم السواد

احسن ما قيل في ذم السواد قول الاوزاعي السواد لا يليق فيه محرم ولا يكفن فيه ميت مسلم ولا تجلى فيه عروس وقال الماهاني لصديق له لم اولعت بالسودان فقال لانه اخفى فقال الماهاني للعين وقال احمد بن ابي الطيب السرخسي من معايب السودان انه لا يظهر فيهم اثر الحياء والخجل ولم يتخذ الله منهم نبيا وقال ابو حنش

رأيت ابا الجحناء في الناس حائرا ولون ابي الجحناء لون البهائم
تراه على ما لاحه من سواده وان كان مظلوما له وجه ظالم

وقال اللحام في هجاء اسود

ويبرز للرائين وجها كانما كساه اهابا من قشور الخنافس

وقد احسن كشاجم في هجاء رجل اسود جائر

يا مشبها في فعله لونه لم تعد ما اوجبت القسمه
فعلك من لونك مستخرج والظلم مشتق من الظلمه

خلقك من خلقك

الباب الخامس والاربعون والمائة في مدح الغوغاء والسفلة

في الخبر ان الله ينصر هذا الدين باقوام لا اخلاق لهم وكان الاحنف بن قيس يقول اكرموا سفهاءكم فانهم يكفونكم النار والعار وذكر محمد بن جعفر رضي الله عنهما الغوغاء فقال انهم ليطفون الحريق ويستنقذون الغريق ويسدون البثوق وكان

الشاعر

الثوري رحمة الله عليه يقول لابد للفقيه من سفيه يناضل معه ويحامي عليه وكان سعيد بن سالم يقول ينبغي للرئيس أن يأخذ في ارتباط السفهاء من الغوغاء ويقول الشاعر

واني لاستبقي امرء السوء عدة لعدوة عريض من القوم جانب
اخاف كلاب الابعدين وهرشها اذا لم تجاوبها كلاب الاقارب

الباب الستون والاربعون والمائة في ذم الغوغاء والسفهاء

ذكرهم واصل بن عطاء فقال ما اجتمعوا قط الا ضروا وما تفرقوا الا نفعوا فقيل له قد عرفنا مضرة الاجتماع فما منفعة الافتراق فقال يرجع الحايك الى حياكته والطيان الى مطينته والفلاح الى فلاحته وكل ذلك من رافق المسلمين ومعاون المحتاجين وقال الجاحظ الغاغة والباغة والاغبياء والسفهاء كانهم اغزار عام واحد وهم في بواطنهم اشد تشابها من التوامين في ظواهرهما وكذلك هم في مقادير العقول وفي الاعتزام والتسرع وفي الأسنان والبلدان وقد ذكر الله تعالى ذكره رد قريش ومشركي العرب على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الفاظهم ومعانيهم ومقاديرهم التي كانت في وزان ما يكون من جميع الامم الى انبيائهم فقال عز من قائل تشابهت قلوبهم الآية وقال فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا ومثل هذا كثير الا ترى انك لا تجد ابدا في كل بلدة

وعصر الحاكة فيها الا على مقدار واحد وجهة واحدة من التخلف
والخمول والغباوة والظلم وكذلك النخاسون على طبقاتهم من
اصناف ما يبيعون ويبتاعون وكذلك السماكون والقلاشون
على مثال واحد وجهة واحدة وكل حجام فهو شديد الحرص على
شرب النبيذ وان اختلفوا في البلدان والاجناس والانساب
وكان المأمون يقول كل شر وضر في الدنيا انما هو صادر
عن السفهاء والغاغة فانهم قتلة الانبياء والاولياء والاصفياء
وهم المضربون بين العلماء والنمامون بين الاوداء والساعون
الى السلاطين ومنهم اللصوص والسراق والقطاع والطرارون
والجلادون ومثيروا الفتن والمغيرون على الاموال فاذا كان
يوم القيمة جروا على عاداتهم في السعاية يقولون ما حكى الله عنهم
ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم
ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا

الباب السابع والاربعون والمائة في مدح العمى

قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي
في الصدور وقيل لقتادة ما بال العميان اذكى واكيس من البصراء
قال لان ابصارهم تحولت الى قلوبهم وقال الجاحظ
العميان اذكى واحفظ واذهانهم اقوى واصفى لانهم غير
مشتغلي الافكار بتمييز الاشخاص ومع النظر تتشعب الفكر
ومع اطباق العين اجتماع اللب ولذلك قال عبد الله بن العباس

ابن عبد المطلب رضي الله عنهما

إن يأخذ الله من عينيّ نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نورُ

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل ... وفي فمي صارم كالسيف مشهورُ

وقال الشاعر

نُعيّرني الاعداءُ والعارُ فيهمُ ... وليس بعارٍ ان يقال ضريرُ

اذا ابصر المرء المروءة والتقى ... وانْ عمي العينان فهو بصير

وقد عُيّر بعضهم بالعمى وكان لسنا فصيحا فقال يهجو ويعرّض بأنه

ليس العمى داءً ولكنه ... شطفةُ تشريفٍ على ضرِّهِ

ما الحمدُ والداءُ وكلُّ البلا ... الّا إشلاءُ المرء في دُبْرِهِ

فالحمدُ لله الذي صاننا ... مما يحارُ الطبُّ في أمرِهِ

وقال الشاطبي رحمه الله

إنْ اذهبَ اللهُ من عينيّ نورهما ... فانّ قلبي مُضِيٌّ ما به ضررُ

أرى بعقلي دنيايَ وآخرتي ... والقلبُ يدرك ما لا يدرك البصرُ

وقال رجل لبشار ما سلب الله مؤمنا كريمتيه الا عوضه عنهما فما الذي عوضك عن عينيك فقال عدم النظر الى بغيضٍ مثلك وقال ابو يعقوب الخريمي من فضائل العمى ومرافقه اجتماع الرأي والذهن وقوة الادراك والحفظ وسقوط الواجب من الحقوق والامان من فضول النظر الداعية الى الذنوب وفقد رؤية الثقلاء والبغضاء وحسن العوض عن ترائي الوجه في دار الثواب

وقال منصور الفقيه

يا مُعرِضاً إذ رآني | لمّا رآني ضريرا
كم قد رأيتَ بصيراً | أعمى وأعمى بصيرا
قُل لي وإن أنت أنصفـ | ـتَ ألفَ خلقاً كثيرا

الباب الثامن والأربعون والمائة في ذمّ العمى

أحسنُ ما قيل فيه قول الشاعر

لا تلومن في اشتفاهيَ أعمى | فسكوتُ اللبيبِ عنه صوابُ
كيف يرجو الحياءَ منه صديقٌ | ومكانُ الحياءِ منه خرابُ

وقال الجاحظ رأيتُ ضريراً بباب الكرخ يقول ارحموا ذا الزمانتين فقلتُ أمّا احدهما فالعمى فما الأخرى قال عدمُ الصوتِ أما ترى الشاعر كيف يقول

أرى شيئين إن عُدّا | لخيرٌ منهما الموتُ
فقيرٌ ما لهُ مالٌ | وأعمى ما له صوتُ

وينشد

سمعتُ أعمى قال في مجلسٍ | يا قومِ ما أوجع فقد البصرْ
فقال من بينهم أعورٌ | عندي من العمى نصف الخبرْ

وقال منصور الفقيه

جعلتُ الجدارَ دليلي عليك | لأني أراني مثل الجدارِ
وصار نهاري وليلي سواءً | وقد كان ليلي مثل النهارِ

الباب التاسع والأربعون والمائة في مدح السجن

احسنون

احسن ما قيل فيه قول علي بن الجهم

قالوا حبست فقلت ليس بضائري   حبسي واي مهند لا يغمد

اوَمَا رايت الليث يألف غابه   كبرا واوباش السباع تردد

والبدر يدركه المحاق فتنجلي   اياه وكأنه متجدد

ولكل حال معقب ولربما   اجلى لك المكروه عما تحمد

والسجن ما لم تغشه بدنية   شنعاء نعم المنزل المتورد

بيت يجدد للكريم محله   فيزار فيه ولا يزور ويقصد

واحسن ما قيل في تسلية المسجونين قول البحتري

اما في رسول الله يوسف اسوة   لمثلك محبوسا على الضيم والافك

اقام جميل الصبر في السجن برهة   فآل به الصبر الجميل الى الملك

وقال البستي

فديتك يا روح المكارم والعلا   بانفس ما عندي من الروح والنفس

حبست فمن بعد الكسوف تبلج   تضيء به الآفاق كالبدر والشمس

فلا تعتقد للحبس هما ووحشة   فقبلك قدما كان يوسف في الحبس

وقال آخر

بنفسي من لم يضربوه لريبة   ولكن ليبدو الورد في سائر الغصن

ولم يدخلوه السجن الا مخافة   من العين ان تعدو على ذلك الحسن

وقالوا كما شاركت في الحسن يوسفا   فشاركه ايضا في الدخول الى السجن

ومن ابلغ ما قيل في الاهانة بالحبس والضرب قول بعض الاعراب

وما الحبس الا ظل بيت سكنته   وما الضرب الا جلدة رافقت جلدي

الباب الخمسون والمائة فى ذم السجن

كتب يوسف عليه السلام على باب السجن هذه منازل البلوى وتجربة الاصدقا وشماتة العدا وقبور الاحياء وكتب بعض المحبوسين الى صديق له كتبت اليك من دار لست لها مالكا ولا مستمكنا ولا مكتريا وليست بوقف على ولست فيها ضيفا ولا زائرا فقال انا لله وانا اليه راجعون كم من السجن وقال شاعر من المسجونين

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها ... فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى
اذا جاءنا السجان يوما لحاجة ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وقال عبد الملك بن عبد العزيز وكان فى حبس الرشيد

ومحلة تشمل المكاره اهلها ... وتقلدوا مشنوة الاسماء
دار تهاب بها اللئام وتتقى ... وتقل فيها هيبة الكرماء
ويقول علج ما اراد ولا ترى ... حرا يقول برقة وحياء
ويرق عن مس الملاحة وجهه ... فيصونه بالصمت والاغضاء

الرحيم

الباب الحادى والخمسون والمائة فى مدح التعليم

احسن واجمع ما سمعت فى مدح التعليم قول ابى زيد البلخى فى رسالة كتبها الى من عيره بانه معلم ليس يستغنى عن التعلم والتعليم احد لان الخاصة والعامة تضطر اليهما فى جميع الديانات والصناعات والآداب والانساب

والمكاسب والمذاهب فما يستغني كاتب ولا حاسب ولا صانع ولا بائع
ولا احد في كل مذهب ومكسب ان يتعلم صناعته ممن هو اعلم منه
ويعلم من هو اجهل منه وقوام الخلق بالتعلم والتعليم فالمعلم افضل
من المتعلم لان صفة المعلم دالة على التمام والافادة وصفة المتعلم
دالة على النقصان والاستفادة وحسبك جهلاً من رجل يذم
ما وصف به الخالق نفسه ثم رسوله صلى الله عليه وسلم اليس قد
قال الله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وقال وعلمناه من لدنا علماً
وقال الرحمن علم القرآن وقال في وصف رسوله صلى الله عليه
وسلم ويعلمهم الكتاب والحكمة الآية

الباب الثاني والخمسون والمائة في ذم التعليم

احسن ما قيل في ذم المعلم قول الشاعر

وكيف يرجى العقل والحلم عند من ... يروح الى انثى ويغدو الى طفل

وقال آخر يهجو معلماً

معلم صبيان وحامل درة ... وليس له عقل بمثقال ذرة

وقال الحمدوني

معلم صبيان يروح ويغتدي ... على انفه الوان ريح فسائهم
فقد افسدوا منه الدماغ بفسوهم ... ورفعهم اصواتهم بندائهم
يستخدم الغلمان ثم ينيكهم ... ويميتهم جوعاً باكل غذائهم

وقال آخر

ان المعلم حيث كان معلماً ... ولو ابتنى فوق السماء بناءه

اوكان علم ساعة من دهره ... اوكان علم آدم الاسماء
لا بد من نقص يكون بعقله ... فاخلص بنفسك حيث كان الداء

وقال الجاحظ عقل مائة معلم عقل امرأة وعقل مائة امرأة عقل حايك وقيل ان معلما في النظارة الى بعض الحروب فاصابت رأسه نشابة وبقيت فيه فلما أريد نزعها عنه قال جارله ارفقوا به لا تصيبوا دماغه فقال انزعوها كيف شئتم فلو كان لى دماغ ما خرجت فى النظارة الى الحرب وقيل لمعلم ابن معلم لا تكن احمق فقال حمقي موروث

الباب الثالث والخمسون والمائة فى مدح الرقيب

قال بعض الظرفاء لا اقوم بواجب شكر الرقيب لانه حفيظ على الحبيب كما يمنعه منى يمنعه من غيرى وانشد

موقف للرقيب لا انساه ... لست اختاره ولا آباه
مرحبًا بالرقيب من غير وعد ... جاء يجلو على من اهواه
لا أحب الرقيب الا لانى ... لا ارى من أحب حتى اراه

ويقال الرقيب ثانى الحبيب

الباب الرابع والخمسون والمائة فى ذم الرقيب

وقد جرى المثل بثقل الرقيب وحسن توقع فقده ومن احسن ما قيل فى ذمه قول ابن الرومى

ما بالها حسنت لنا ورقيبها ... ابدًا قبيح قبح الرقباء

ما ذاك إلا أنها شمس الضحى ... أبدًا يكون رقيبها الحرباء

ولبعضهم

هم أيقظوا رقط الأفاعي ونبهوا ... عقارب ليل نام عنها حواتها
وقد نقلوا عني الذي لم أفه به ... وما آفة الأخبار إلا رواتها

الباب الخامس والخمسون والمائة في مدح لا

أحسن ما قيل في مدح لا نثرًا قول بعض الحكماء لو لم يكن من فضل لا إلا أنها افتتاح كلمة التوحيد لكان كافيا يعني لا إله إلا الله ونظمًا قول غيره

اجتمع الناس على ذم لا ... غيري فإني موجب حق لا
وذاك أني قلت يومًا له ... تحب غيري سيدي قال لا

وقال الكندي قول لا يدفع البلاء وقول نعم يزيل النعم

وقال سليمان بن عبد الله بن طاهر

في كل شيء سرف ... يكره حتى في الكرم
وربما الفين لا ... أفضل من ألف نعم

وكان المهلب يوصي ابنه عبد الملك ويقول له إياك والسرعة عند مسئلة بنعم فإن نعم أولها سهل في مخرجها وآخرها ثقيل في فعلها واعلم أن لا وإن قبحت فربما روحت وإن كنت في أمر تسأله على قدرة فيه فاطمع وإن عرفت أن لا سبيل إليه فاعتذر عنه وادفع فإن من لا يدفع بالعذر فنفسه ظلم

الباب السادس والخمسون والمائة في ذم لا

قال بعضهم

لعن الله قول لا ... خلقت خلقة الجلم
انها تقرض للجميل ... وتأبى على الكرم

ووصف لا ابو الحرث ليحيى بن خالد البرمكي فقال قبح الله لا كانه مشجب من حيث اتيته المشجب عيدان يضم بعضها الى بعض مفتحة الاطراف تعلق عليها الثياب

وقال غيره على نحو ما تقدم

ياليت لا ما كتبت ... فانها تحكي الجلم

الباب السابع والخمسون والمائة في مدح اليمين

ادعى رجل على داود بن على الاصبهاني مالا في مجلس حكم عند اسمعيل بن اسحق القاضي فانكر وحلف له فقال القاضي يا ابا سليمان انت مع محلك من العلم تحلف في مثل هذا المجلس فقال نعم اليمين الصادقة ثناء على الله وانما فعلت ما امر الله به ورسوله فقال وما هو فقال اليس الله يقول لرسوله عليه السلام ويستنبئونك احق هو قل اى وربى انه لحق ويقول سبحانه وتعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن وقال جل ذكره وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربى لتاتينكم قال القاضي قم بالسلامة فما ارى احدا يستحلفك بعد

وقال ابن الرومى

وانى لذو حلف حاضر اذا ما اضطررت فى الحال الضيق
فهل من جناح على مسلم يدافع بالله ما لا يطيق

وكان ابو حنيفة يقول اذا ابتليت بالسلطان فحرّق دينك بالايمان ورقعه بالاستغفار فان الله تعالى يقول لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم

الباب الثامن والخمسون والمائة فى ذم اليمين

قال الله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث المرفوع اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع ويقال اليمين حنث ومندمة ويقال كلام الجاهل كله حلف وكلام العاقل كله مثل وقال بعض السلف دع اليمين لله اجلالا وللناس اجمالا وقال ابن المعتز علامة الكذاب مبادرته باليمين لغير مستحلف وقيل لو لم يكن فى اليمين الا انه يبغض صاحبه ويبغضه الى الناس ولو كان فيه صادقا لكفى

الباب التاسع والخمسون والمائة فى مدح شهر رمضان

فى الحديث المرفوع اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب الجنة واغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين وكان عليه السلام يبشر اصحابه بشهر رمضان ويقول قد جاءكم

الشهر المبارك الذى فيه الليلة التى هى خير من الف شهر ولله فى كل ليلة من ليالى شهر رمضان ستمائة الف عتيق من النار وله فى آخر ليلة من لياليه مثل ما اعتق فى جميع الشهر

وقال بعض الزهاد

ان شهر الصيام مضمار يسوق الى رضى المعبود
حلبة خيلها الصيام مع النسك وإدخالها جنان الخلود

وقال آخر وهو ابدع ما قيل فيه

شهر الصيام مشاكل الحمام فيه طهور جوامع الآثام
فاطهر به واحذر عثارك انما شر الصرائع مصرع الحمام

وقال ابو جعفر محمد بن موسى الرامى

مضى رمضان المرمض الدين نفعه وأقبل شوال يشول بمر قهرا
فيالك شهر اشهر الله قدره لقد شهرت فيه سيوف الهدى شهرا

وقال الصاحب

قد تعدوا على الصيام وقالوا حرم العيش فيه حسن العوايد
كذبوا فالصيام للمرء مهما كان مستيقظا اتم الفوايد
موقع بالنهار غير مريب واجتماع بالليل عند المساجد

الباب الستون والمائة فى ذم شهر رمضان

كتب ابو على البصير الى ابن مكرم فى شعبان كتبت اليك فى آخر يوم من ايام الدنيا بإدبار شعبان واول يوم من ايام الآخرة باقبال شهر رمضان وقال بعض المجان

شهر رمضان مستجلبة بين ذرتين يعني شعبان وشوال

وقال البحتري

طال هذا الشهر المبارك حتى ... قد خشينا بأن يكون لزاما
كم صحيح قد ادعى السقم فيه ... وعليل قد ادعى البرساما
ولخير من السلامة عندي ... للفتى علة تحل الحراما

وقال ابن الرومي

شهر الصيام وإن عظمت حرمته ... شهر ثقيل بطيء السير والحركه
يمشي رويدا فاما حين يطلبنا ... فلا السليك يدانيه ولا السلكه
كأنه طالب ثأرا على فرس ... اجد في إثر مطلوب على رمكه
شهر كأن وقوعي فيه من قلقي ... وسوء حالي وقوع الحوت في الشبكه
يا صدق من قال أيام مباركة ... ان كان يكني عن اسم الشقل بالبركه
أذمه غير وقت فيه احمده ... وقت العشاء الى ان تصفق الديكه
لو كان مولى وكنا كالعبيد له ... لكان مولى بخيلا سيئ الملكه

وقال ايضا

اذا باركت في صوم لقوم ... دعوت لهم بتطويل العذاب
وما التبريك في شهر طويل ... يطاول يومه يوم الحساب
فليت الليل فيه كان شهرا ... ومر نهاره مر السحاب
فلا اهلا بمانع كل خير ... وأهلا بالطعام وبالشراب

وقال غيره

الغوث من هذا الصيام ... قد صار لي مثل الحمام
ما ان أمتع بالطعام ... وبالمدامة والمدام

ولمؤلف الكتاب

رمضان امرضني وامرض باطني بصادات صدٍّ كالطبائع اربعه
صوم وصفراء تجرعني الردى وصبابة وصدود من قلبي معه

وقال بشار

قل لشهر الصيام انحلت جسمي ان ميقاتنا طلوع الهلال
اجهد الآن كل جهدك فينا سترى ما يكون في شوال

الباب الحادي والستون والمائة في مدح الوعد

حدثني عون بن محمد قال حدثني احمد بن سيار قال وعد يزيد بن مزيد رجلاً قضاء حاجة فقال له لم تعد وانت تقدر على الانجاز فقال للسرّ الى وقت قضاء الحاجة فان سرور القضاء وقت واحد وسرور الوعد الى وقت الانجاز متصل ولو شاء الله ان يفتح مكة لنبيه عليه السلام لفتحها اول ارادته ولكن احب ان يتصل سرور المسلمين باتصال انقضاء الاوقات الى وقت انجاز الوعد وعن احمد بن يزيد قال حدثني البحتري عن خارجة بن مسلم ابن الوليد عن ابيه قال سألت الفضل بن سهل حاجة فقال لي اسرك اليوم بالوعد واجعلك غداً بالانجاز فاني سمعت يحيى بن خالد البرمكي يقول المواعيد شباك الكرام يصيدون بها محامد الاحرار ولو كان المعطي لا يعيد لا ارتفعت مفاخر انجاز الوعد وبطل فضل صدق القول

الباب الثانى والستون والمائة فى ذم الوعد

اخبرنا محمد بن الحسن قال ابو الحسن المدايني حدثت عن خليل بن احمد قال بلغني ان طلحة الطلحات قال ما بات لرجل على موعد منذ عقلت وما تململ الموعود فى ليلة ليغدو للظفر بحاجته اشد من تململي للخروج اليه من عداته خوفاً لعارض الخلف ان الخلف ليس من اخلاق الكرام قيل وكان محمد بن عبد العزيز لا يكاد يوجب على نفسه شيئاً توقياً للخلف قال الشيخ ابو نصر لا اقدر ان هذين البابين من الاصل غير اني وجدتهما فى النسخة الساقطة الى من اصفهان

قد تم طبع هذا الكتاب المستطاب بعون الله الملك الوهاب بمحروسة مصر القاهره
على ذمة ملتزمه ذى اللطائف والظرائف الفاخره العارف من بحر فيض
ربه الوافى مولانا الهمام العلامة الشيخ صالح اليافى لا زال طبعه
حميدا وصنعه مجيدا ومتع بتوفيق انجاله بجاه النبى وآله
وذلك فى يوم النصف من شهر شعبان المعظم سنة ١٢٧٥
من هجرة سيد المرسلين صلى الله وسلم عليه
وعلى آله وصحبه والمنتمين اليه وبقلم كاتبه
المتأوّه
الراجى من مولاه العفو عما جناه
احمد بن الحاج اسمعيل
النجارى
غفر الله له ولوالديه واحسن اليهما واليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل جمال الانسان في لسانه وحلاه بحلى المعارف فتفتح
في رياض لطائفها كمائم بيانه والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل
في طليل ظل طرائف العوارف الزهر القائل ان من الشعر لحكمة وان من
البيان لسحرا وعلى آله الذين هم احق بالمدائح لجمعهم جوامع الفضائل
وصحبه الذين نزهوا نفوسهم عن مثالب اللئام ومقابح الرذائل
وبعد فيقول مستمطر سحائب لطف الله الباري عبد الهادي
نجا الابياري لما جعل الله ابناء مصر غرة في جبهة عصرهم وزهرة
يانعة في روضة مصرهم وفتق رتق السنتهم ببراعة العبارة الرقيقة
وركب امزجتهم من معين ماء اللطافة والرقة حتى نشؤا مكتسبين
من عوارف الفصاحة طرفا مجتذبين من فنون الآداب طرفا فطرفا فاذا
سمعتهم يحسن سمرهم سمعت قولا كريما واذا رأيتهم يتفاكهون في انديتهم رأيت
نعيما وكان من المناسبات ومقتضى الحكم البالغات تيسير ما يجانسهم
من قطائف اللطائف واظهار ما يلائم طباعهم من طرائف الظرائف
ان وفق الله زهرة دوحة المجد وزهرة افق السعد مجتلى انوار المعارف
ومجتني نوار اللطائف اخانا الهمام الفاضل الشيخ صالح منصور الملفي
لا زال وقته من شوائب الاكدار صافيا الى طبع هذا الكتاب الذي هو مجمع اللطائف
والظرائف ليشتهر فيقتطف من حدائق محاسنه كل قاطف اذ هو
منح ملح اجمل من ملاحة الملاح واشهى الى النفوس من معاطاة الراح
لطائف يشهد مطالعها الدراري في مطالعها وعوارف تجتني قطوف انسها
الرائد فيتمسك بنوابغها فطالعه انسان الاثر وسعد طالعه وطلع بدا

انسه مشرقة لوامعه واهتزاهتزاز الدوح لمرّ النسيم والتمّ طاف الساقي عليه بكأس مزاجها من تسنيم ووجد اذ وجد نفسه من فنون لطائفه بين روح وريحان يداعب بين ماء وخضرة في اوقات انسيّة ما يتعشق من ولدان اوحور حسان فاركض في روضاته الفائقه وريض طرف طرفك في دوحاته الرائقه ونزه احداقك في حدائقه فهي نزهة الاحداق وروّح نفسك برقائق لطائفه فانها شقائق نعمانية بلا شقاق وانظر كيف اجاد مؤلفه تأليفه لله درّه من مجيد حيث حلّى بجواهر طرائفه من الظرفاء كلّ جيد واخذ بمجامع القلوب اذ جعل كلّ باب منه له في الفضل اسلوب حتى مرّت في ارجاء القبول قبول حسنه رخا وقال لسان طبعه مؤرخا

سفر اللطائف قد ابدى لنا الظرفا	فكان ظرف حميا نشأة الظرفا
فوائد نظمت تنظم الفرائد في	سلك السلاسة نظماً جاء مؤتلفا
فيه تنضد الاضداد وابتهجت	به مواقعها حتى غدت تحفا
يديرها راحا على الارواح منعشة	تنفس الهمّ عمن راح مرتشفا
لطائف طبعها مذراق ارخ جا	حسن اللطائف لا يخفى على اللطفا

٤ ١١٨ ٦٦١ ٧٣١ ١١٠ ١٥١

سنه ١٢٧٥

BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE
EGYPTIAN LIBRARY